

كتب ثقافية

التراث القديم

٣

الغزوة

تأليف

أبو عمار البغدادي

تحقيق وتقديم
أ. ك. نور فؤاد حنين

الكتاب السابع

مقدمة

ليست هناك حضارة بلا تقاليد ، والحضارة التي تخلو من التقاليد حضارة الى زوال ، شئ براق لامع يلوب مع الزمن ، ويبتلعه النسيان . . . والتقاليد هي جماع ما توصلت اليه هذه الحضارة من اسس تقوم عليها علاقات الافراد بعضهم ببعض ، وعلاقاتهم مع مجتمعهم ككل . . . ويسمون هذه التقاليد اخلاق المتمدنين ، ويسمون اخلاق الفروسية ، ويسمون اخلاق الفتيان أو الفتوة .

ومن حضارتنا العربية تنبع الجنور الاولى التي قامت عليها تقاليد الفروسية المعروفة ، التي ازدهت بها اوروبا في القرون الوسطى ، وحددت نوعا من المعاملات النبيلة يتصف بها اهل الرقى والحضارة ، فهذه التقاليد شئ اصيل في خلق العربي دفعته اليها دفعا حاجات البيئة وظروف الحياة ، وكانت اول امرها خلقا فطريا لا يحتاج الى تقنين وتقييد ، فاذا ما تعقدت حياة العربي حين بدأ دوره في بناء أعظم الحضارات واطورها شأننا كان من السهل عليه أن يجعل من طبعه قاعدة ، ومن خلقه المتوارث تقاليد محددة أسماها الفتوة يأخذ بها نفسه ويأخذ الناس بها اخذا .

ويوم استشرى في اسرة الحاكمين الفساد وخلقت الطبقات المتباينة في الحقوق واخذ الاقطاع يطل برأسه ليلتهم حضارتنا ظهرت طائفة العيارين التي تأخذ من الغنى لتعطي الفقير احقاقا للعدالة التي يريدون ، ولم يكونوا جماعة من النهابين ، وانما كانوا جماعة لها فلسفتها ، ولها قوانينها وتقاليدها .

وسرعان ما يتنبه الخليفة الى قيمة هذه الجماعة واهميتها . . . فيحتضن الفتيان ليفقدو زعيم الفتيان ، وهنا تنتقل الفتوة من

العامة الى الخاصة ، وتصبح اقرب الى نظام الفرسان الذى عرفته القرون الوسطى فى اوربا بتقاليد وسماته .

وهذا المؤلف الذى يقدمه لنا الدكتور فؤاد حسنين كتبه مؤلفه ابن عمار فى حياة هذا الخليفة الذى تزعم الفتيان ، الخليفة الناصر لدين الله ، وهو يتناول حقيقة الفتوة واصولها ومنبعها ، ثم يتحدث عن صفات الفتوة وشروطها ، ثم يبين حديثه عن تقاليد الفتيان . . وينهى هذا الكتاب بفصل كامل عن قصص الفتيان التى تلقى الضوء على مفهوم الفتوة ومعناها .

ونحن اذ نقدم اليوم هذا الكتاب كاملا محققا انما نهديه الى شبابنا الذين يبحثون عن المثل العليا فى المعاملات ، والمثل العليا فى الخلق ، والمثل العليا فى التقاليد . . انها شئ من تراثهم استعاره الغرب حينما ليدل به على كل الحضارات . . ونزيح الستار عنه اليوم لنعيد السمات العربية الى وضوحها ولتبدو الاصول الاولى للخلق . . تلك الاصول التى قلناها للانسانية لتفيد منها كما نقدم لها كل يوم ما يفيدها .

« كتب ثقافية »

الفتوة

الى جانب الشباب والقوة الكمال والكرم ، الشجاعة والوفاء
والفصاحة والايثار وسائر المعاني التي تفيض بها المعاجم اللغوية
والنصوص الادبية . تستخدم اللغة العربية الاسلامية لفظ الفتوة
للتعبير عن هذا النظام الاجتماعي الذي عرفته البيئة الاسلامية
منذ زمن بعيد ، فالفتوة عربية بعيدة في العروبة ، واكاد اجزم
انها من مستلزمات الجنس العربي منذ وجد في الجزيرة المعروفة
بهذا الاسم فمادة (فتى) تستمد معانيها من بيئة الجزيرة
جغرافيا وجنسيا واجتماعيا ، فالفتى العربي سواء في الجاهلية
أو الاسلام هو ابن الصحراء وعماد القبيلة تربطه بها رابطة
الجنس والدم والعقيدة ، فهو يقدر الكرم ، ويقدر الجوار ،
وهاتان صفتان من أهم الصفات التي يجب أن يتحلى بها الفتى
العربي المذهب سواء في الجاهلية أو الاسلام ، لذلك ما كادت
بشائر الاسلام تطلع على العرب حتى وجدنا القرآن الكريم ،
يذكرها في أكثر من موضع ، ففي سورة الكهف مثلا نقرأ قوله
تعالى : (اذ أوى الفتية الى الكهف) وفي موضع آخر من نفس
السورة نجد (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم عددا وربطنا على
قلوبهم) .

واذا تركنا الذكر الى السنة الفيناها نتحدث عن الفتوة حديثا
طويلا منه ما رواه جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه وعن جده
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فتيان أمتي عشر
علامات ، قال يا رسول الله : وهل لامتك فتیان ؟ قال عليه
السلام : «نعم» وأين الفتوة الاولى من فتوة أمتي قال وما تلك
العلامات يا رسول الله قال عليه السلام : «صدق الحديث ،
والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الكذب ، والرحمة باليتيم
واعطاء السائل ، وبذل النائل ، واكثار الصنائع ، وقرى
الضييف ، والحياء » .

ويروى عنه عليه السلام انه قال : «أفتاكم على » ، فقال على «يارسول الله وما الفتوة ؟ » فقال عليه السلام : « هي شرف يتشرف به أهل النجدة والسماح ، وأنت يا على فتى ، وابن فتى وأخو فتى » فقال على عليه السلام : «يارسول الله من أبى ومن أخى من الفتيان ؟ » فقال عليه السلام : « أبوك إبراهيم خليل الرحمن ، وأخوك أنا فتوتى من فتوة أبيك ، وفتوتك منى وسلم اليه سلاحه يوم غزوة حنين »

رأينا من هذا كيف أن القرآن الكريم تحدث عن الفتوة ، والسنة النبوية الشريفة تصف إبراهيم الخليل بالفتوة فإبراهيم فى نظر الفتيان أول من ظهرت عليه الفتوة ، لذلك يلقبونه (أبو الفتيان) ثم ظلت الفتوة تنتقل من إبراهيم الى سائر الانبياء من بعده حتى جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم ، ومنه الى (على) لذلك ينسب الى الرسول أنه قال : « لا فتى الا على ، ولا سيف الا ذو الفقار » وبذلك حل « على » المكانة المرموقة فى سلسلة الفتوة . ولما جاءت الشيعة نسجت حوله كثيرا من القصص ، ويدعم مؤرخو الفتوة بعيدا ويقررون أن عليا رضوان الله عليه خلع لباس الفتوة على شخصية أخرى عرفت باخلاصها لبنت رسول الله ، وعمر سلمان الفارسي ، وهكذا تمتد السلسلة حتى تتصل ، كما سنرى فيما بعد ، بالخليفة الناصر لدين الله .

والآن نتساءل : اذا كان أبو الفتيان هو إبراهيم الخليل قالى أى حد تنفق فتوته مع الفتوة الاسلامية ؟ ظل هذا السؤال زمنا طويلا ينتظر الرد ، وذلك لان كتابا مطبوعا فى العربية حول الفتوة الاسلامية ودستورها لم يظهر بعد حتى يستطيع الباحث على ضوءه ادراك كنه هذه الفتوة والاهتداء الى ناموسها هذا فضلا عن أن العالم حتى زمن قريب لم تصله معلومات تاريخية عن فتوة سامية أخرى يستطيع الانسان على هديها دراسة تاريخ الفتوة العربية ودراسة تطورها ، لكن من حسن الحظ انه لم يكد يطلع علينا عام ١٩٤٨ ، حتى صدرت وكالات

الانبياء الاجنبية تتحدث عن كشف اثرى عظيم عشر عليه في وادي
قمران بجوار البحر الميت ، وهو هذا الكشف المعروف باسم
وثائق البحر الميت ، وفي بعض هذه الآثار القيمة نقرأ دستوراً
لجماعة متاخية يعيش أفرادها اخوانا ويتحلون علاوة على
هذا الاخاء بالاخلاص والوفاء ، وبالصدق والعدالة وما إليها ،
وبالاختصار يتطلب الانضواء تحت لوائها هذه الصفات العشر
التي نسبت الى الرسول عليه السلام في وصف الفتيان والفتوة
ولا تتفق هذه الجماعة التي عاشت في الفتوة الممتدة من القرن
الثاني قبل الميلاد حتى أوائل القرن الثالث الميلادي حول منطقة
البحر الميت مع الفتيان المسلمين في هذه الصفات فحسب ، بل
حتى في الملبس والمأكل والمشرب ، كما نتبين ذلك من مخطوطة
عربية محفوظة بمكتبة جامعة توبنجن بألمانيا ، ولعل هذا
الناموس الذي جاءنا في الوثائق العبرية التي عشر عليها حول
البحر الميت هو أقدم دستور وصل إلينا عن نظام الفتوة في
البلاد العربية ، فهذه الفتوة أخذت تتطور مع مرور الزمن ،
فبعد أن كانت ابراهيمية أصبحت مسيحية ممثلة في يحيى
ابن زكريا المعروف في المسيحية باسم يوحنا المعمدان ، وكذلك
في التعاليم الاولى للمسيحية ومن ثم نجد هذه الفتوة تتطور
وتساير الزمن حتى ظهر الاسلام فاعتنقته وأصبح العالم وهو
أمام فتوة اسلامية ، ومن حسن الحظ أن هذه الوثائق تسلمت
أيدي أمينة حريصة على العناية بها واعدادها لخدمة العلم
والعلماء ، فظهرت فيها أخيراً كتب عديدة .

ففي هذه المؤلفات وغيرها نقرأ ناموساً إذا ما قارناه بما
جاءنا حول الفتوة الاسلامية استولت علينا الدعشة ، فالهدف
هو الهدف ، وانوسيلة هي الوسيلة ، وإن دل هذا الاتفاق على
شيء قائماً هو الشعور الديني العربي الاصيل الذي كان يتفجر
بين الآونة والآخرى اصلاً وديناً ، والتاريخ الديني للبلاد
العربية يحدثنا أن الاسلام ما كان يتسلم نوايا الفتوة حتى نشر

في سائر الاقطار المفتوحة ، فنجد فتوة في ايران وغيرها من البلاد الاسيوية ، كما نجد لها في شمال افريقيا وبلاد الاندلس لكن الفتوة الاسلامية تغاير الفتوة العربية الجاهلية ، فالاسلامية تسمو على سابقتها القبلية الجاهلية وتتسع للايثار وتصارع الانانية الجاهلية ، فالايثار هنا ليس قبلية ، وليس عربيا بل هو ايثار اسلامي انساني ، والفتوة بعد ان كانت في الجاهلية شعارا للكريم الشجاع الوفي النبيل أصبحت في الاسلام ايضا نظاما اجتماعيا شأنها في ذلك شأن الفتوة الابراهيمية التي كشفت لنا عنها وثائق البحر الميت ، فالفتوة الاسلامية هي شعار لجماعة خاصة من الشبان الذين يحيون حين حاضره ويروضون انفسهم رياضته خاصة فريدة ممتازة ، وهذه الجماعة ليست عربية خالصة ، بل اسلامية جامعة فمن بين افرادها العربي والاعجمي ، والجميع يدينون بدين واحد هو الاسلام ، الدين الذي يعمل للدنيا والاخرة ، فهو يعنى بالعبادة الروحية بين المسلم وخالقه ، كما يهتم بالصلات الاجتماعية بين المسلم والمسلم من ناحية ، والمسلمين وغيرهم من ناحية اخرى ، فنظام الفتوة والحالة هذه يرضى ولا شك الدين والدين ، فهو يدعو الى الايثار ، ويقدر الجهاد شأن الفتوة الاسلامية في ذلك شأن الفتوة الابراهيمية التي وصلت اليها الخيرة ، ولا عجب اذن اذا رأينا الصوفي تصافح الفتوة ، ولقد رأينا ، ليس الايثار الذي هو اعم ركن من اركان الفتوة هو الدار الذات ، والنحج الذي لا يعرف نهايه .

لكن السؤل العرب من البداوة الى الحضارة أثر بدوره في حديدهم بوعيه وحياة الغيتان بخاصة ، فمنهم الآن من لا يقنعون بحياة السفسف والحرمان التي كن يحييها لا أقول انني الجاهل فقص ، بل العنى الابرايمي ايضا ، ولم هذا التقشف وذلك الحرمان لا بعد أداء الله على المسلمين الخير واليسير ، وتفتحهم امامهم آفاق واسعة ، ووسعت الدونة الاسلامية نصف العالم

المعروف وقتذاك ، واصبحت البيئة غير البيئة ، والحياة غير الحياة ، لذلك لاغربة اذا قرانا أحيانا أن منهم من انحرفوا عن السنن الجاهلي ، ومالوا الى حياة البذخ والابهة ، وقد تطلبت هذه الحياة الجديدة منهم استخدام شجاعتهم في سبيل الطموح والشهرة ، لافى سبيل الاخذ بيد الضعيف وتحقيق المبادئ السامية التي تحلت بها الفتوة منذ العبود الغابرة ، لذلك تطورت البطولة أحيانا الى نوع من أعمال السلب والنهب وقطع الطرق . وقد حارب رجال الدين الاسلامي هذا الانحراف وذلك الشذوذ ، ذلك لان الاسلام اذ نادى بها وأرجعها الى ابراهيم الخليل انما كان يهدف الى تنظيم الفتيان وحشد قواهم لنصرة دين الله واعلاء شأنه والعمل بتعاليمه ، وهذا هو السر في أنه جعل الفتوة حقا مباحا لسائر الفتيان المسلمين ، سواء اكانوا عربا أم عجماء ، فقد انخرط في سلك الفتوة كثيرون من أبناء الجنسيات غير العربية وشاركوا في تكوين وحدات الحدود التي رابطت في الثغور الاسلامية الآسيوية لرد اعتداءات وتنبى الاتراك والمغول من ناحية ، والبيزنطيين من ناحية أخرى وقد رابط هؤلاء الفتيان مرابطة أشهرها في تركستان حيث (عموريا) لمحاربة المغول من سكان أواسط آسيا وعلى الحدود الفاصلة بين الاناضول وبلاد ما بين النهرين لرد عادية البيزنطيين ورباط ثالث في اسبانيا لمقاومة الافرنج ، لذلك أطلق على هؤلاء الفتيان اسم المرابطين أو الغزاة . ولم يكن الرباط مركزا حربيا فحسب ، بل كان دينيا أيضا خصوصا بعد أن امتزجت الفتوة بالصوفية فأصبح الرباط على الحدود الاسلامية مركزا للدراویش .

وبينما نجد مرابطين يقومون بهذه الرسالة على الحدود الاسلامية ، اذا بنا نجد في بعض المدن جماعات أخرى للفتيان حانقة ثائرة على الاوضاع الاجتماعية في ذلك الحين فلا عدالة اجتماعية ، ولا عناية بالطبقات الفقيرة ، ولا حكومة رشيدة

مستقرة ، لذلك استباححت هذه الجماعات لنفسها عصيان الحاكم ومخالفة القوانين والخروج على العرف المألوف ، فهاجموا رجال الدولة ونكلوا بهم ، كما سلبوا الاثرياء أموالهم وأملاكهم حتى لقبوا بالعيارين أى اللصوص ، وكانت لهؤلاء العيارين تقاليد خاصة بعضها من تقاليد الفتوة الحققة ، كارتدائهم لباس الفتوة الذى كان يميزهم عن غيرهم والذى كان ينحصر فى جملة قطع : أهمها السروال والحزام ، وكذلك شرب كأس الفتوة ، وهو ماء ممزوج بملح وكانوا يشربونه فى اجتماعاتهم ، أما العادات الدخيلة على الفتوة فمخالفتهم الدين والسنة وعصيانهم الحكومات والتنكيل بأعوانها أعنى رجال الامن والادارة ، وذهب العيارون بعيدا فكونوا من انفسهم فرقة خاصة تعرف باسم (عوانية) مهمتها المحافظة على حياة المستضعفين والفتيان ، وقد رفض العيارون الاعتراف بالمحاكم الشرعية القائمة وقتذاك ، وأوجدوا لهم محاكم خاصة تعرف باسم (مصالحة) .

أما الفتوة الحقيقية فكانت تطلب من الفتيان القسم بالفتوة وشرفها ، كما يقسم رجال الجيش اليوم بالشرف العسكرى ، هذا الى جانب التمسك بالحقيقة والحرص على قول الصدق والمحافظة على الطهارة والامتناع عن الزنا ، ومحاربة الرذيلة وقد ذهب الفتيان بعيدا فطالبوا أقاربهم بمراعاة هذه التعاليم الخلقية ، واصبح كل فتى مسئولا عن أهله وعشيرته ، واذا أخل فتى باحدى هذه الخصال قاطعه سائر الفتيان وأمتنعوا عن شرب كأس الفتوة معه وطردوه من عضوية الجماعة

وتحدثنا المصادر التى وصلت اليها أن العيارين كانوا ينزعون الى حماية الفقراء واسعادهم بالاستيلاء على أموال الاغنياء وأملاكهم وتوزيعها بين الفقراء ، لذلك اضطر الاغنياء والاعيان الى ترك بغداد خوفا من أعمال السلب والنهب والاضطهاد ، وبخاصة فى الفترة التى يضعف فيها سلطان الحاكم كالفترة الممتدة بين منتصف القرن التاسع الميلادى والثانى عشر ، فقد

كان العيارون في ذلك العصر هم الجماعة الوحيدة المنظمة التي أحدثت حالة من عدم الاستقرار ظلت سائدة حتى نجح السلطان الناصر لدين الله عام ٥٢٨هـ / ١١٤٣ - ١١٤٤م وطارد العيارين وكسر شوكتهم ، لكن لم يمض زمن طويل على هزيمتهم حتى عادوا الى الحياة ثانية ، ففي عام ١٢٠٠م نقرأ خبرا يفيد أن هؤلاء العيارين ، وقد تأثروا بالصوفية انشأوا لهم خمسة بيوت على غرار بيوت الدراويش ، ويحمل على كل بيت اسم مؤسسة ، وهذه البيوت هي الرهاصية والحسينية والخليلية والمولدية والنبوية .

وظلت الفتوة قسمة بين فتیان عاهدوا الله وأنفسهم على مراعاة التقاليد العربية والتعاليم الاسلامية الحقيقية وآخرين كالعيارين ساروا وراء بدع ابتدعوها حتى جاء الخليفة العباسي الناصر لدين الله الذي تولى الخلافة عام ٥٧٥هـ - ١١٨٠م وظل في الحكم حتى عام ٦٢٢هـ / ١٢٢٥م فوجد الفتوة قد جمعت بين الدين والدنيا وصارت وسيلة ناجحة لتحقيق أغراضه لذلك لم يمض على توليه الخلافة زمن طويل حتى رغب الى الشيخ عبد الجبار بن صالح البغدادي الملقب بالمتزهد وهو من بيت الرهاصية - أن يلبسه سراويل الفتوة ويصيره فتى ، وهكذا نجد الفتوة تنتقل من مرحلة الى أخرى أرقى ، وأصبح الخليفة زعيما للفتيان وارسل رسله الى سائر الاقطار الاسلامية يدعو الأمراء والولاة الى الدخول في الفتوة ، وارتداء سراويل الفتیان فأقبل عليها كثيرون من أمراء البلاد وسرايها وشربوا كأس الفتوة تكريما للخليفة ، وبذلك نجح الناصر لدين الله في توطيد الخلافة وتدعيم أركانها بالتغلب سائر الأمراء والولاة حوله كزعيم للفتیان ، أو بتعبير آخر كزعيم لهم ، وانتير الخليفة الفرصة وحل سائر بيوت الفتیان الآخرين ، كما انتقلت الفتوة من العامة الى الخاصة ، ومن الجبل الى العلماء وإذا علمنا أن العالم الاسلامي كان اذ ذاك قسمة بين الشيعة وأهل السنة

وإذا علمنا أيضا أن قولاً منسوباً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتس على أنه (لا فتى إلا على ولا سيف إلا ذو الفقار) أدركنا المكانة الرفيعة التي يحتلها على رضي الله عنه بين الفتيان والشيعة ، وإن الفتوة وقد كشفت عن مكانة على فقد أزالَت الخصومات القويّة بين السنة والشيعة ، وأصبحت هي الوسيلة القويّة الوحيدة التي وحدت بين صفوف الأمة الإسلامية وآخت بين أفرادها ، فالخليفة الناصر لدين الله ، وقد أصبح زعيماً للفتوة ، نجح في كسب سائر طبقات المسلمين حول الخلافة .

وكانت الفتوة في عهد الخليفة أيضاً إلى جانب أنها عقد اجتماعي بين الفتيان وسيله من وسائل رياضته النفس وتقويم الجسم ، لذلك استثمر الفتيان برمي البندق والتضيق المناسب كما كان الخليفة الناصر في طبيعة المولعين والسبائين إلى هذه الرياضة . وهكذا نجد الفتوة تصبح نظاماً اجتماعياً رفيعاً ، حتى أنه لما توفي الناصر سارع ابنه الخليفة المستنصر بالله إلى لبس سراويله ، وهذه الظاهرة هي التي تعلق لنا سر اهتمام المؤرخين والعلماء بوضع المؤلفات الكثيرة في الفتوة والإشارة إليها فيما يؤرخون ، كما فعل ابن الأثير مثلاً ، لكن مما يؤسف له جداً أن كثيراً من هذه المؤلفات ضاع على يد التتار عند تقويضهم الخلافة في بغداد ، إلا أنه من حسن الحظ جاءنا كتابان نفيسان يصوران لنا الفتوة ويعرفانها : أحدهما - ويطلق عليه كتاب الفتوة - لابن عمار ، والآخر هو كتاب « تحفة الوصايا » لأحمد ابن أبيس النقاش الخرتبرتي . أما ابن عمار فقد وضع كتابه ابن حيدر الخليفة الناصر ، وعالج فيه الفتوة من الناحية الشرعية بينما تعرض الخرتبرتي لها من الناحية الصوفية ، وقد وضع الخرتبرتي رسالته عام ٦١٢ هـ / ١٢١٦ م ، وهو العام الذي توفي فيه الملك المعظم أبو الحسن على أصغر أبناء الخليفة ،

وذلك بمناسبة دخوله فى الفتوة ، وفيها يظهر الاثر القسوى للصوفية ، فهو هنا يصور الفتوة فى صورة شجرة يطلق عليها شجرة الفتوة أو الفوز .

ومخطوطة ابن عمار هذه محفوظة بمكتبة جامعة (توبنجن) وهى من الحجم الصغير وتشتمل على ١٦٨ صفحة فى كل صفحة ١٣ سطرا ، وفى كل سطر حوالى عشر كلمات والخط بالحبر الصينى ، وقد وقع فيها بعض التلف فى عدد من صفحاتها . والمخطوطة مكتوبة بخط نسخى ، وناسخها هو محمد بن محمد ابن أيوب بن محمد ، وقد فرغ من نسخها فى شهر ربيع الآخر عام ٨٤٤ هـ / ١٤٤٠ م

وفى الصفحات ١٦٦-١٦٨ نقرا بخط الكاتب نفسه قصة حول قذف المغيرة بين شعبة بالزنا حين كان واليا من قبل أمين المؤمنين عمر بن الخطاب على البصرة وحكم عمر .

ويغلب على هذه المخطوطة تسهيل الهمزة واسقاطها ان كانت متطرفة فى نهاية الكلمة ، كما يغلب كتابة لفظ (فتى) بالالف العادية أى (فتا) وكذلك نجد أحيانا (وأبقا) عوضا عن (وأبقى) ويفرق بين السين والشين بوضع (٧) على السين ، بينما الشين (ش) وغالبا تلحق الألف بواو الغائب مثل (يدعوا) ، وبالمخطوطة خصائص املائية أخرى .

وقد جاءت على خارج الغلاف عبارة : كتاب وفتوة الشهد والعهد ، وفى أقصى الصحيفة الأولى وبقلم يفاير القلم العادى تجد عبارة : هذه فنون . . وبهذه الصحيفة آثار كشط .

كما نجد أيضا عبارة : وهذا الكتاب لآبى عبد الله محمد الشارم المعروف بابن العمار الفقيه الحنبلى البغدادى .

لقد رأينا موقف القرآن الكريم والسنة الشريفة من الفتوة

وأصلها ونشأتها ، والآن نتحدث عن دستور الفتوة وتكوينها
مستعنيين برسالة ابن عمار التي سبق التعريف بها ، فهذا
المؤلف يحدثنا بأسلوب المقنن المشرع حديثا مستفيضاً عن
تعاليم الفتيان وواجباتهم وانتقالهم في المراتب المختلفة ومحاكمة
الفتى ، كما يحدثنا عن التحاق الفتى بالجماعة وكيف يتم ذلك
على مرحلتين : الأولى أن يرشحه ويزكيه فتى أكبر منه سناً .
والثانية أن يختار الفتى الجديد اثنين من الفتيان الذين يطلق
على الواحد منهم لقب (مسابل) وبعد أن تتم هذه الاجراءات
يقبل الطالب كعضو أصيل ، أما اجراءات الالتحاق فهي كما
يصورها ابن عمار كما يلي :

يقدم الطالب التماسا الى أحد الاعضاء ، وبعد أن تدرس
حالته ترسل دعوة الى سائر الاعضاء لتناول الطعام ، وفي هذه
الفترة يقف النقيب ويطلب الى الشخص الذي قدم اليه الالتماس
ويعرف في اصطلاح الفتوة باسم (المطلوب) أن يقبل العضو
الجديد كرفيق ، فاذا وافق (المطلوب) يحزم الرفيق بحزام ،
ولهذا يطلق على هذه الحفلة (شد) ويرمز الى العملية (شد
العقد) ثم يلي ذلك شرب كأس الفتوة ، ويلقى خطبة يستهلها
بالحمد لله الواحد المنان ، الملك الديان ، الذي خلق الانسان
وعلمه البيان ، ثم يصلى على محمد عبده ورسوله ، وعلى آله
وصديقه ، وزوج ابنته وأبى سبطيه ، ومن ثم يتحدث عن
العدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى ، ثم يستطرد الخطيب فيذكر كثيرا من الآى والاحاديث
الشريفة التي تحت على مكارم الاخلاق ثم يعرج على الفتوة
فيقول : واعلموا رحمكم الله أن الفتوة من صفات الدين وطريق
الفائزين ، من تمسك بها كانت الجنة مأواه ، ومن خالفها كانت
النار مأواه ، وان لها أصلا في الشريعة ، وهى الى كل خير ذريعة
وان منشئها ابراهيم خليل عبد الرحمن ، ومثلها جرى فى بيعة

الرضوان ، وما عاهد الله عليه السادة البررة الذين بايعوا تحت الشجرة وان نبينا عليه السلام سيد الفتيان ومبدأ فتوة على عليه السلام الذى سمع هاتف فى حقه : لا سيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا على واليه ترجع الانساب ومنه تفرعت الاحزاب حتى انتهت الفتوة وشرفت بسيدنا ومولانا الامام ابى العباس احمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه . وبعد أن يفرغ الخطيب من تعداد مناقب الامام ابى العباس ، يختم الخطبة بدعاء الى الله سبحانه وتعالى أن يشيد قواعد الاسلام ، ويشد أزر الأئمة ، ثم يقول اللهم واحفظ السادة الحاضرين ، والفتيان المستخبين خصوصا المشايخ المقدمين : الشيخ المقدم الامين جمال الرفقة والفتيان اللهم وأصلح ولاية المسلمين ووفق علماءهم المهذبين وانصر جيوش المجاهدين ، واقض حوائج المحتاجين . . واعلموا رحمكم الله انه قد صح عند العلماء والأئمة انفضلاء ، ان الفتوة منزلة عالية وفضيلة طائلة ، لا ينالها الا الأسراف ، والجياد والخواص من العباد ، ولا تصلح الا لتنظيف من الأدناس ، علامة بين الناس ، ومن شرطها اجتناب الكبائر والتحفظ من الصغائر ، والمحافظة على الفرائض والواجبات ، وامتنال أوامر الشرع بالطاعات والتقرب الى الله بأنواع الصلوات ، ومما أدرك من الحكمة الاولى : ألا تسنحس نفسك ما تستقبح لغيرك ، وتنتهى الحفلة بالصلاة .

أما العضو الجديد (المشدود) فلا تكون عضويته قد كملت بعد ، اذ ان استكمال العضوية يتطلب زمنا يتمكن فيه المطلوب من كتابة تقرير عن المشدود ، وبعد ذلك يحدث ما يسمى عند ابن العمار (تكميل) ويسميه الخرتبرتى (تكفية) لأنه يقدم فيها للمشدود لباس الفتوة .

أما الحفلة التى يتم فيها التكميل فتشبه تماما حفلة الشد

والفرق ، فانه عوضا عن الحزام نجد سروالا ، وقد يحدث أن الشخص يكمل عند الشد وهذا يحدث بخاصة مع الامراء .
وتقوم العلاقة بين الفتیان قيامها بين أفراد الاسرة الواحدة ،
فالكبير قد يسمى (أب) والصغير (ابن) ثم نجد (الجدة) والعلاقة
بين الجميع تسمى (نسبة) والجماعة (حزب) والهيئة (بيت)
وهذه البيوت تسمى بأسماء مؤسسيها، وعند غير ابن الحر تبرتي
وابن العمار نقرا أن من الفتیان من يرتبط بالفتوة ارتباطا
لفظيا فقط ، ويطلق على هؤلاء « القوليون » ومنهم من يرتبط
بالشرب فقط وهؤلاء هم « الشربيون » ، ومنهم من يرتبط
بالسيف فقط ، وهؤلاء هم « السيفيون » .

والسؤال الذي يخطر لنا الآن هو : ماهي مراسيم الفتوة
وما أصولها وما سروالها وما كأسها .

تعتمد طقوس الفتوة على طعام وشراب ، ولباس وصلاة ، ولا
شك أن هذه الطقوس جميعها أو بعضها من مستلزمات العهود
والاحلاف لا عند العرب فحسب، بل عند سائر الشعوب السامية .
والدائرس لعادات الشعوب وتقاليدها يدرك دون عناء مدى
تغلغل هذه الطقوس وحيويتها ولا سيما ما يتصل باللباس
والشراب . أما اللباس فقد رأينا مما سبق مدى الاهتمام به
عند الشد أو التكميل ، ورأينا من الطقوس الملائمة له ما يخلع
عليه لأقول صفة دينية فحسب ، بل صفة الحلف والعهد
أيضا ، وهذه الظاهرة أعنى استخدام الملابس لهذه الغاية
ظاهرة سامية قديمة ما زالت حية الى اليوم في مجتمعنا العربي ،
ولعل الباعث اليها الاعتقاد في القوة الروحية لبعض الافراد ،
وان ملامسة الملابس لأجسام أمثال هؤلاء الافراد يكسيها
شيئا من قوة صاحبها وزوجانيته ، وهذه العقيدة هي العلة التي
نعلل بها انتبرك عن طريق ملامسة ثياب الاولياء ، أو استخدام
قطعة من ملابس الشخص في أعمال السحر والتعاويذ ، وهذه

العادة متغلغلة جدا في الحياة العربية الجاهلية حتى سجلها الشعراء والكتاب كقول امرئ القيس مثلاً في معلقته :

فان تك قدساءتك منى سريرة فسل ثيابى من ثيابك تنسل

ولم يقف الامر في الجاهلية عند الملابس ، بل تعداها الى لمس الحبل ، وهو حبل الفسطاط ولو عن طريق الرمح ، ومن أمثلة ذلك قول سويد بن أبي كاهل اليشكري :

بسطت رابعة الحبل لنا فوصلنا الحبل منها ما اتسع

ولما جاء الاسلام اقر هذه العادة ، فنجد القرآن الكريم كثيراً ما يذكر اللباس ويشبه به ، وما زالت هذه العقيدة حية في تقاليدنا وعاداتنا حتى يومنا هذا .

أما الشراب فكان من الماء والملح ، فالماء كما نعلم هو عنصر الطهارة لافي الاسلام ولدى المسلمين فحسب ، بل في الجاهلية وعند كثيرين من أصحاب الملل والنحل الأخرى ، فالماء عنصر مقدس وقد جعل الله منه كل شيء حياً ، وهو في عقائدنا الشعبية ملاك طاهر من يدنسه يرتكب اثماً كبيراً .

أما الملح فليس أقل طهارة وقداًسة من الماء ، فمنذ القدم كان موضع التقسم وعقد العهود والطيارة ، فالعرب يقولون قديماً : (بينهما حرمة المالحة) واليوم نقول (وحق الملح) ولقوته غير الطبيعية يستخدم في السحر والتعاوين .

وهذا التقديس للملح ليس قاصراً على العرب ، بل نجده عند كثيرين من الشعوب الأخرى وبخاصة السامية ، فالعبريون مثلاً كثيراً ما توسلوا به في حياتهم الدينية فجاء ذكره في أسفار العدد وأخبار الأيام واللاويين والملوك .

هذه هي الفتوة الإسلامية عرضنا لنشأتها وربطنا بينها وبين الفتوة الإبراهيمية ، وتحدثنا عن النبوض بها والدور الذي

لعبته في حياة المسلمين سياسيا ودينيا . والآن نتساءل : هل وقف أثر الفتوة عند المسلمين أم نقلوه الى غيرهم من الافرنج، كما نقلوا اليهم الشيء الكثير من تراث المسلمين والعالم القديم ؟

لاشك ان الاتصال بين العرب والافرنج وبخاصة في العصور الوسطى ترك ابعداً الاثر في خلق نظام الفروسية المعروف في العصور الوسطى الاوربية ، وقد تم هذا الاتصال في الجهات التي التقى فيها المسلمون بالمسيحيين ، فمثلا في الاناضول حيث طال الالتحام بين المسلمين والبيزنطيين نجد أنه قامت منطقة حدود فاصلة بين المسلمين والبيزنطيين ، ولا شك اننا في الجانب الاسلامي كنا نجد المسلمين المرابطين يحيون حياة الفتوة الاسلامية قياما بواجب الجهاد ، وهو فرض كفاية .. ولذلك كان يلقب المجاهد المسلم بلقب (غازي) .

وفي الناحية البيزنطية نجد الطائفة المعروفة باسم (الكريتاي) واغلبهم من الارمن وان كنا لسنا على يقين من أن (الاكريت) هؤلاء اقتبسوا نظام الفتوة الاسلامية كاملا الا انهم بالرغم من ذلك كانوا يكونون طائفة من الفرسان ، وفي غير الاناضول تم الاتصال بين المسلمين والافرنج ، وبخاصة مع الشعوب الجرمانية الرومانية في ثلاثة مواضع : باسبانيا ، وصقلية ، وفي فلسطين حيث دارت رحى الحروب الصليبية . أما اسبانيا فقد كانت اعم هذه المواضع وأصلحها ، لان المسلمين نجحوا هناك في غزو البلاد سياسيا وثقافيا ودينيا ، واضطروا الافرنج الى أن يكونوا دائما على أعبة الاستعداد فأقبل شباب الافرنج على الفنون الحربية الاسلامية يتعلمونها ، واضطر المسيحيون الى انشاء جيش من الفرسان أسوة بفرقة الفرسان العربية التي كانت تعتبر أقوى فرقة في الجيش الاسلامي ، وهكذا نجد اسبانيا هي البلد الذي يجمع بين افروسية والفكرة الدينية الاسلامية

كما هو الحال في الفتوة الإسلامية ، لذلك نشأ في أوروبا النظام المعروف باسم فروسية الاخوان .

وما يقال عن اسبانيا يقال أيضا عن صقلية ، فأننا نجسد مسلمين قد نزحوا اليها من شمال افريقيا يحيون مع النور منديين ورجال الهوهنشتوفن حين كانت الارض صالحة لقيام نظام فرسان على النمط الاسلامي الموجود في الفتوة .
أما في فلسطين فقد أخذ الصليبيون عن المسلمين لأقول نظام الفتوة فحسب ، بل أخذوا كذلك طرق الحياة والمعيشة ، وهكذا لم تكن الحروب الصليبية شرا كلها ، بل نقلت الى الغرب من بين ما نقلت فتوة تسمو بفتيانها الى المثل العليا التي تنهض بالمجتمع الانساني وتدفعه الى الامام .

د الدكتور فؤاد حسنين »

كتاب الفتوة

الشهد والعهد

هذه فنون في الشهد والعهد في الطريق : كتاب الفتوة تصنيف
الشيخ العالم الامام ابي عبدالله محمد الشاريم المعروف بابن الصمان
الفقيه الحنبلي البغدادي رحمة الله عليه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادي الى معرفته ، والصلاة على محمد أشرف خليقته
وعلى آله وصحبه وعترته . اعلم ايها الناظر أن الباعث على
اصدار هذا الكتاب اني رأيت جملة الناس وجمهورهم واقاضلهم
وصدورهم قد أولعوا بذكر الفتوة وألهجوا بها راغبين في فضائلها
راجين نيل طاعتها خصوصا حين أحيا سنتها ومعالمها سيندنا
ومولانا الامام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين
صلوات الله عليه ، وكان أحق بها وأعلها ، فجمع ما تشئت من
نظامها ، وشيد ما تعطل من أحكامها ، واقتدى به في ذلك زعماء
البلاد والخواص من العباد ، وما فتى الناس على نهجه مهتدين ،
وبفتوته متمسكين ، عالمهم ونسكهم ، وعواهلهم وأقبايلهم تقربوا
بالفتوة اليه صلوات الله عليه لطهارة عنصره وجرثومته ، وزكاة
أصله وأرومته ، ورأوا أن موافقته غنم ومخالفته غرم ، وإن
السعادة في لزوم طاعته ، والتمسك بحبل فتوته هو التمسك
بالعروة الوثقى ، وعو عند الله خير وأبقى ، فدعاني باعث محبته ،
واقتضائي الشرف بخدمته ، أيده الله بعنايته واسبغ علينا ظل
دولته أن أضع لخدمته هذا الكتاب ، وأضمنه أفضل السنن
والاداب ، العربية عن كنية الفتوة وحقيقة المروءة على وجه لم أسبق
بمثاله فيقال نسج على منواله ، فإن وقع ذلك باستحسان فالله
وفق وأعان .

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه وليس عليه أن يساعده الدهر

وكنت قد قضيت أربى في جمع مؤلفات في العلوم الحكمية والتوقيعات الشرعية ، ورأيت نفوس الناس لهذه العلوم آبية مطرحة لها بالدليل ، فأخلدت إلى ماتهواه النفوس من ذكر الفتوة ، وتميل إليه من صفات المروءة ، وثبت لها ذلك بالأب الشرعية ، والسنن المهدية ، ومزجتها في أعذب شراب ، وأسهل خطاب كدس الترياق في أحلى مذاق ، لينجو من دائها العضال ويسلم من هوائها القتال ، وليكون ذلك منهاجا موصلا للعباد إلى نيل السعادة والرشاد ، فإن ذلك هو الغاية القصوى ونهاية المنى ، وجعلت ذلك عشرة فصول ذكرتها بما أودعني الله حفظا وأنشدت ما ظننتها من أحكام القياس إلى أصول الشريعة والدين ليعلم أن الفتوة محجة المتقين ، ومنهج العارفين .

الفصل الأول - في إطلاق اسم الفتوة لغة وشرعا ، وما ورد فيها من الآيات والأخبار والآثار .

الفصل الثاني - في حقيقة الفتوة وينبوع أصلها ومنشئها ، ومحلها من الشريعة ، والفرق بين الفتوة وما تشبه بها من المروءة والأخوة ، ولبس الخرفة وشدة انثقاف .

الفصل الثالث - فيم قين في صفة الفتوة ، وما للفتى من الرسوم والشروح والنعوت وتلك تبلغ زهاء ثلاثين مقالة .

الفصل الرابع - في شرائط الفتوة ، وما يعتبر فيها من القيود المصححة والحكمة .

الفصل الخامس - فيمن تصح فتوته ومن لا تصح فتوته ، وفيما يبطل الفتوة من العيوب وينقصها .

الفصل السادس - في الالتفات المصطلح على استئصالها بين الفتيان ، وتلك تيف وعشرون لفظا متساق إليك .

الفصل السابع - فى كيفية الفتى وصفة الطلبة والاجتماع
والدعوة والخطبة والشد والتكمل والشرب .

الفصل الثامن - فى معانى حكمة الشد والسراويل والمياه
والملاح .

الفصل التاسع - فى الخصال التى يندب الفتى الى فعلها ،
والتي يؤثر باجتنابها ، وهى مائتا خصلة .

الفصل العاشر - فى حكايات الفتيان والمتقدمين ، وما كانوا
عليه من الكرم والمروءة ، ومقالات الجاهل من المتأخرين وما
ابتدعوه فى الفتوة .

الفصل الأول

فى اطلاق لفظ الفتوة لغة وشرعا

وذكر ما ورد فيها من الآيات والأخبار والآثار

أعلم أن الفتوة اسم موضوع يقال على أنحاء : أحدها أنه فى اصطلاح العرف عبارة عن صفات محمودة اتسم بها الشخص على لوجه مخصوص ، وامتناز بها عن أبناء جنسه ، فأوجب له اسم فتى ، ويشهد لذلك قوله تعالى : (انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم) وأيضا قوله تعالى : (اذ أوى الفتية الى الكهف) فلما تميزوا عن أبناء جنسهم بالایمان بالله استحقوا اسم الفتيان .

ويطلق اسم الفتوة أيضا على الصبى والحديث السنن قال تعالى : (قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم) . ويطلق أيضا على الصاحب والخادم ، قال تعالى (وقال لفتيانہ اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) وأيضا قوله تعالى : (تراود فتاحا عن نفسه) ، وقال تعالى : (واذ قال موسى لفتاه آتنا غداءنا) يريد فى جميع ذلك الصاحب والخادم ، ويطلق أيضا على الشاب ، قال تعالى (ودخل معه السجن فتيان) ويطلق أيضا اسم الفتوة على الذكر والانثى يقال للرجل فتى وللمرأة فتاة وللطلى من الدواب فتى بكسر التاء ، وتطلق الفتوة فى العرف أيضا على الرجل الجواد والشجاع .

وأما السنة فقد زادت فى الفتوة أخبار المختار منها ما رواه جعفر الصادق عليه السلام عن أبيه وعن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لفتيان أمتى عشر علامات ، قال يا رسول الله : وعمل لأمتك فتيان قال عليه السلام نعم ، وأين الفتوة الاولى من فتوة أمتى ، قال وما تلك العلامات يا رسول الله قال عليه

السلام : صدق الحديث ، والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الكذب ، والرحمة باليتيم ، وإعطاء السائل ، وبذل النائل ، واكثار الصنائع ، وقرى الضيف ، وأيضا ما روى عن العقيل ابن عياض شيخ الفتيان رضى الله عنه قال : حدثنا محمد بن ثور عن معمر بن أبى حازم ، عن سهل بن سعد الساعدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لياتى على الناس زمانٌ تعدم فيه الفتوة ، وتنقص فيه المروءة ، وتضييق فيه الاخلاق ، ويستغنى الرجال بالرجال ، والنساء بالنساء فاذا كان ذلك فانتظروا العذاب صباحا أو مساء ، وأيضا ما روى عنه عليه السلام ، انه قال : افتاكم على : فقال على يارسول الله وما الفتوة ؟ فقال عليه السلام هي شرف يتشرف به أهل النجدة والسماح ، وأنت يا على فتى وابن فتى وأخو فتى : فقال على عليه السلام : يارسول الله من أبى ومن أخى من الفتيان ، فقال عليه السلام : أبوك ابراهيم خليل الرحمن وأخوك انا ، فتوتى من فتوة أبيك ، وفتوتك منى وسلم اليه سلاحه يوم غزوة حنين ، وأيضا ما روى عن موسى على نبينا وعليه السلام انه سأل ربه عز وجل عن الفتوة فقال تعالى ان ترد نفسك الى طاهرة كما قبلتها منى طاهرة ١٥

وأيضا ما روى عنه عليه السلام أنه قال : لقد كان أخى يوسف أفتى الفتيان حيث قال لآخوته : « لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم » ، ولما طلبوا من أبيهم الاستغفار أخرجهم وقال : « سوف أستغفر لكم ربى » ، ومن ذلك قول بعض العلماء : أن طلب الحاجة من الشاب أسرع اجابة من الشيخ ، ومدح عليه السلام يوسف لكونه عبر لهم الرؤيا فى السجن ، ولم يطلب منهم الخروج ، قال عليه السلام : ولو كنت أنا لطلبت الخروج قبل أن أعبر لهم الرؤيا . لله ذره حيث ذكر النعمة ، وأعرض عن النعمة ، فقال « وقد أحسن بى ربى اذ أخرجنى من السجن » .

وأما الاثر المشهور فما ورد أن عليا عليه السلام كلما حارب حربا هتف الهاتف : لا سيف الا ذو الفقار ، ولا فتى الا على : وهذا على سبيل المبالغة معناه لا فتى كامل الا على ، ومثله لاصلاة لجار المسجد الا فى المسجد ، وايضا ما روى عن عمر رضى الله عنه انه : كتب الى أبى موسى الاشعري : أما بعد فان الخير كله فى خلتين : الرضاء والفتوة ، فان لم تستطع الرضاء فعليك بالفتوة ، وهى الصبر على المكاره . ألم تر الى ابراهيم عليه السلام حين صبر على كل بليه فصارت نعمة وعطية : صبر على القائه فى النار فصارت بردا وسلاما ، وصبر على ذبح ولده ، ففدى بذبح عظيم ، وصبر يوسف عليه السلام على الحب والسجن فنال ملك مصر ، وقال له اخوته : «لقد آثرك الله علينا» .

الفصل الثاني

في حقيقة الفتوة وأصلها ومنشئها ومنزلتها
من الشريعة ، والفرق بين الفتوة والمروءة
والأخوة والتصوف وشد الثفاف .

أعلم أن الفتوة خصلة من خصال اندين ، وصفة مكملـة
للعارفين ، وهى عهد بين الكبير ورفيقه على التمسك بقانون الدين
القويم ، والعمل بالقسطاس المستقيم ، فهى من الدين بمنزلة
الاسلام من الايمان عند قوم ، وبمنزلة العدالة من الدين على نحو
الأصل والفرع ، فكل فتى متدين وليس كل متدين فتى ،
وعلى الفتوة عهد على المحاذظة على أصل الدين وأركانـه وواجباته
وعلى فروعه وفضائله ومندوبياته ؟ فيه احتمالات نذكر فائدتها
عند كلامنا على ما يبطل الفتوة وما ينقصها ولا خلاف بين العلماء
فى أن الفتوة مرغوب فيها ، مندوب اليها ، ولها أصل فى الشريعة
على ما روينا قبل ، ولكونها معاهدة على طاعة الله ورسوله فقد
أشبهت بيعه الرضوان وما عاهدوا الله عليه .

فأما مبدأ الفتوة ومنشؤها فأبراهيم الخليل خليل الرحمن ،
وهو أبو الفتية حيث كسر الأصنام ، وأعرض عن الأثام حين
قال له جبريل : على لك حجة وقد ألقوا به الى النار فقال : أما
اليك فلا فتوة ، الحق قضى حاجته بنفسه فقال : يا نار كونى
بردا وسلاما على إبراهيم ، وعدده فقال : ان إبراهيم لحليم أواه .
ووصف أضيافه فقال : انهم مكرمين فقال : ضيف إبراهيم المكرمين ،
لما قام على خدمتهم بنفسه ولقيهم بوجه طلق ، ولم تزل الفتوة
تتصل بالانبياء والصديقين حتى وصلت الى نبينا عليه السلام
وهو أفتى الفتية .

روى فى الصحاح من فتوته أى شجاعته عليه السلام : ان ذات

ليلة فزع الناس بالمدينة فانطلق الناس قبل الصوت ، فاستقام
النبي صلى الله عليه وسلم وسبق الفارس الى الصوت لكشف
الخبر ثم عاد راجعا وهو يقول : لن تراعوا ، لن تراعوا ، وهو
على فرش لابي طلحة عريان ما عليه سرج ، وفي عنقه سيف ، وكان
عليه السلام اول من اجاب في ذلك الصوت :

لا يسالون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
ومنه عليه السلام فتوة على رضى الله عنه . ومن فضيلة فتوته
هتف بها الهاتف ، وجاد بنفسه على فراش النبي صلى الله عليه
وسلم مما تذكره الحكايات الآتية . ومن على عليه السلام فتوة
صفوان ابن أمية في بعض حروب صفين ، وكان صفوان في ذلك
اليوم يحمل فلايل ، ويضرب فلايكل ، فلما رآه عليه السلام قال
له : اعانك الله على طاعته يا صفوان ، ولم يزل صفوان كذلك حتى
ضرب رجلا من المعتدين فقطع هامته ، وانكسر سيفه في قمته ،
فناداه على : الى يا صفوان ، فأتاه فقلده سيفا وقال له : انك اليوم
فتى فاياك أن تضع الفتوة في غير أهلها ، فبذه هي الفتوة التي
شرفني بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن على عليه السلام
أيضا فتوة سلمان الفارسي . قيل وانتقلت من سلمان الى دجلى
الانصارى ، ومنه الى الاشج ومنه الى ابي مسلم الخراساني ،
ومنه الى نجدة بن ميسرة ، ومنه الى مالك ، ومنه الى عبد الله بن
الهاشمي ومنه الى معاذ المازني ، ومنه الى مطعون ، ومنه الى مبارك
ابن مطاعن ، ومنه الى حامد بن عدى ، ومنه الى مهدي . ولم تزل
الفتوة تنتقل وعلم جرا الى عصرنا هذا حتى تفرعت وصارت
بيوتا وأحزابا وقبائل كالرعاصية والحسينية والخليلية والمولدية
والنبوية لما حدث بينهم من الاختلاف وكل منهم ذهب الى رأى ،
ولقد كانوا يحكمون ببطلان من لم يحاضروه وينقلون من ينقلون
عنهم أبكارا ، فلما لم يقضوا في الفتوة بأحكامها ولم يقتفوا فيها
أثر السلف الصالح وينسجوا على منوالهم كثر الاختلاف بينهم
وقيل :

تخالفت الناس حتى لا اتفاق لهم الا على شجب والمخلف في الشجب فلما انتهى ذلك الى عصر سيدنا ومولانا الامام الناصر لدين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه أنعم نظره التام وفحصه الكامل في النسب ، واختار كبيرا في الفتوة هو الشيخ الصالح الزاهد العابد السعيد عبد الجبار بن صالح البغدادي رحمة الله عليه لما كان عليه في الحقيقة من حسن السيرة والطريقة .

نسبة الفتوة من أمير المؤمنين الى النبي عليهما السلام

وانتقلت اليه صلوات الله عليه عن الشيخ عبد الجبار عن ابن دغيم عن عبيد بن المغيرة عن عمر بن الرهاص عن أبي بكر بن الجحيش عن حسن بن الريان عن بقاء بن الطباخ عن النفيس بن عبيد الله عن الشريف أبي القاسم بن أبي حبة الكوفي عن عمر ابن النضر عن أبي الحسن الصوفي عن مهنا العلوي عن أبي مسلم الخراساني عن الملك كانجار بن بردويل عن روزبة الفارسي عن بهرام الديلمي عن الحافظ الكندي عن علي النوبختي عن عمر الطائي عن عوف القناني عن الأشج البصري عن سلمان الفارسي عن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم فعند ذلك طفق الناس وهم وبها يلهمهم مهرعين الى التشرف بالانتماء اليه صلوات الله عليه لما اتصف به من الاخلاق النبوية والخلال الطاهرة الزكية حتى استرق بجوده أهل البلاد ، وأشرب حبه في قلوب العباد وسلوكوا الى تشريفه فجاجا ، ودخلوا في حربه أفواجا أمتعنا الله بدوام دولته بمحمد وعترته .

واما الفرق بين الفتوة وما تشبه بها من المروءة والاخوة وليس الخرقية وشدة الشقاق فقد قيل أن المروءة صفة باطنة ، والفتوة صفة ظاهرة من فعل الخير والكف عن الشر ، وقال بعضهم : الفتوة وصف لازم والمروءة وصف متعد . وقال آخر : المروءة تابعة للفتوة ، وقال بعض العلماء : المروءة شعبة من الفتوة ، وقال إبراهيم الخواص : الفتوة أصل المروءة ، وقال عيسى عليه السلام :

من فتوة المرء رعاية أخوته ، ومن مروته صيانة وجهه فمن ارتكب المعاصي بطلت فتوته ، ومن بذل وجهه سقطت مروته . ومن المروءة حفظ النفس عن الأدناس واخذها بمكارم ومحاسن الشيم : من اصطناع المعروف ، وبث الاحسان ، ومدارة الاخوان والصبر على المكاره ، والتبرع قبل السؤال والانصاف في معاملة الحق والخلق ، ويروى عن علي رضي الله عنه أنه قال : المروءة ست خصال : ثلاث في الحضر ، وثلاث في السفر ، أما الثلاثة في الحضر فتلاوة كلام الله عز وجل ، وعمارة مساجد الله ، واتخاذ الاخوان في الله ، وأما اللواتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معصية الله .

وأما الاخوة وهي معاهدة بين الشخصين على أن يكونا كالأخوين في نسبة الولادة بجسدي كل واحد منهما صاحبه في الدنيا والآخرة ، وأصل ذلك مخاواة النبي عليه السلام بين أصحابه وأما ما يفعله الجاهل من شرب كل واحد منهما دم صاحبه فغير جائز .

وأما خرقة التصوف فإنها صحيحة ، وهي أيضا عهد على المحافظ على الطريقة ، فهي كالفتوة ويفترقان في الآداب والاصطلاح .

وأما سند الشاف فهو انتساب في الصناعة الى من اشتد اليه . وهذا هو تمام الكلام في أصل الفتوة وما يشتهر بها .

الفصل الثالث

ليما قيل في صفة الفتوة والفتى من الرسوم والنعت

وتلك نحو ثلاثين مقالة

روى عن الحسن البصري رضى الله عنه انه قال جمعت الفتوة في قوله تعالى : «ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون» وقال محمد بن الترمذى : الفتوة أن تكون خصم نفسك لربك ، وقال المحاسبى : الفتوة أن تنصف ولا تنتصف ، وقال الجنيد : الفتوة كف الاذى ، وبذل الندى ، وترك الشكوى . وقال الشيبانى : الفتوة الصدق عند الامتحان والرفق عند الجفاء والبذل عند الفاقة

أنت للمال اذا أنفقته واذا أمسكته فالمال لك

وقال بعضهم : الفتوة سيف مسلول وطبق مبدول وقلب مقفول ولسان مسئول ، وقال محمد ابن الحنفية : الفتوة طاعة المعبود ، والمروة ايثار المجهود ، وقال احمد بن حنبل : الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى ، وقال بعضهم : الفتوة اظهار الطلاوة مع اخوته ، وقيل : الفتوة أن تأتيها ولا ترى نفسك فيها ، وقيل فتوة الخاص خفض الخواطر وفتوة العام امتثال الأوامر ، وقيل من الفتوة حسن الخلق ، وترك التميز في العطا ، وأن تستر عيب عدوك كما تستر عيب نفسك وسئل عيسى السقطى عن الفتوة فقال : عى ترك دنياك لا تخراك ، ومخالفة هواك ، والانفراق بمولائك ، وقال معروف الكرخى : الفتوة الايثار مع الاضطراب ولو بالطاعات يوم القيامة وقال لقمان الحكيم : الفتوة ألا تربح على صديقك ، كما أن المروة ألا تخسر ، وقال بعضهم : الفتوة اتباع المكارم واجتناب المحارم فهذه مقالات الناس في الفتوة وينبغي أن يعلم أن الفتوة تعاضدواخوة

وصديق ومروءة ، وهى شرع من النبوة ، فليست باكل الحرام
وارتكاب الآثام ، بل عبادة الرحمن ومخالفة الشيطان ، وترك
العدوان ، والعمل بالقرآن .

علم الفتوة علم ليس يعرفه الا أخو فطنة بالحق موصوف
فكيف يعرفه من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف
وليس فتي الفتيان من راح واغتدى

لشرب صبوح أو لشرب غبوق
الفتى من يرى الاخذ منه الفضل عليه :

ياذا الذى يهب الكثير وعنده أنى عليه يأخذه أتصدق

وقال الفتى من يفرح بالسؤال كما يفرح بالاخذ منه بالعطاء
وفى المعنى يحكى عن عاصم بن حمزة أنه دخل على على عليه
السلام فوجده يبكى فقال : ما يبكيك ياأمير المؤمنين قال سبيع
انت على ، ولم يرد على ضيفا ولا سائلا فيتخلق فى ذلك بصفات
الحق :

الله يغضب ان تركت سؤاله وبنى آدم حين يسأل يغضب
وقيل الفتى من يعطى قبل السؤال ولا يمنع بعده :

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله على صحبه يستغن عنه ويذم

وقال زين العابدين عليه السلام : الفتى من لا يدخر ولا يعتذر ،
وقال احمد بن حنبل : من لم يميز أن يأكل عنده عدو أو صديق
وقال بعضهم الفتى من يعاشر الناس بحيث اذا غاب حنوا اليه ،
واذا حضر أقبلوا عليه ، واذا مات بكوا عليه ، وقال ذو النون
المصرى الفتيان ثلاثة : فتى يطلب مايصون به وجهه عن الناس ،
وفتى يتقلب مع الاقدار بلا اختيار ، وقيل : الفتى من كان خائفا
من ربه ، مستغفرا لذنبه غير مرتاب ولا كذاب ، بل من أولى الالباب
كهف الرفقة والاصحاب . وقيل : الفتى من حسنت سريرته ،

وأذيعت مروته ، يتجنب الاشرار ويرافق الاخيار ، كثير الحياء والورع ، قليل الشر والطمع ، يرى أن الوفاء دين ، والصدق يقين ، والفتى لأحسود ولاحقود ، طبعه الجود ، وعلى أبناءجنسه يسود . وقيل الفتى من كان وافيا بالذمام جوادا لما بين الكرام ، يضرب بالسيف ويحسن قري الضيف . واني لعبدالضيف مادام نازلا ، وقال عليه السلام : الضيف يأتي برزقه ويرتحل بذنوب القوم ، وقيل : أربعة ينبغي للشريف ألا يأنف منها : قيامه لوالده ، وخدمته للعالم ، وقيامه على فرسه ، وخدمته للضيف وقيل : الفتى يطيع مولاه ، ويخالف هواه ، ويراقب الله ويخشاه ويستحي منه كأنه يراه .

ما ان دعاه الهوى يوما لفاحشة الا عصته صفات الطهر والكرم

وقيل : الفتى من يحافظ على طاعة الله ومرضاته ، ويواظب على صومه وصلاته ، يراقب الله في جميع حالاته ، واذا خلا عفا عن شهواته ، وللشافعي رحمه الله :

اخلو به فاعف عنه كأننى خوف الدنية لست من عشاقه
كالما فى يد صائم يلنذه نظرا ويصدق عن لذيد مذاقه
الفتى من كان لله خائفا ، وللناس متواضعا لا يذل لمطامع ،
وبما رزقه الله قانع :

لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك فى الدين
واعلم بأن الذى ترجو وتامله من البريه مسكين بن مسكين
واستنزل الرزق مما فى خزائنه فان ذلك بين الكاف والنون
ما اقبح العرص فى الدنيا لصاحبه واسمى الكبير ممن صيغ من طين

الفصل الرابع

في شرائط الفتوة وما يعتبر فيها من القيود الصحيحة والمكملة

تشتري لصحتها ستة شرائط : الذكورية ، والبلوغ ، والعقل والدين ، واستقامة الحال ، واصل المروءة ، ومنشير الى حالة كل شرط اشارة لطيفة .

الشرط الاول - الذكورة : وهو مظنة الشرف والكمال ، ولهذا يختص الذكور بالولايات في السياسات والشهادات والاقضية والاموال دون النساء فانهن ربات حجر ، وخيارهن ناقصات عقل ودين ، كما قال عليه السلام ويتخذن فراشا للذكور ، والفتوة صفة شرف وكمال والرجال قوامون على النساء فاستحقوا الاختصاص بالفتوة .

الشرط الثاني - البلوغ : وهو مظنة كمال البنية واستنارة العقل ، وكمال تصرفه ، وخروج القوة الهيولانية الى ما بالملكة الفاعليه ، ولهذا أطلقه الشارع في أنواع التصرفات بعد أن كان ممنوعا منها في حالة الصبى ، فانه مظنة الضعف والقصور ، والعجز عن دوك المعلومات والوقوف على حقائق الماهيات ، ولهذا أسقط الشارع عنه العلم . والمقصود بالقدرة انبعاث الشخص على الطاعات واجتنابه المنهيات والصبى لا يهتدى الى حسن ذلك وقبحه ، فلا يرعوى اذا زجر ولا ينتهى اذا أمر .

مسألة : فأما المميز المراعى فله حكم البالغ في كثير من الامور فان القريب من الشيء يأخذ حكمه عرفا وشرعا ولا كذلك الغفل الصغير ، ويحتمل أن تصح فتوة الصبى أخذا من صحة اسلامه ، وفيه خلاف بين العلماء ، والحكمة في صحة فتوته أنه ينشأ متمرنا متمودا لخصال الفتيان ، سباقا في الخير ، وقد ورد في الحديث ان الله يحب الشاب المتخلق باخلاق المشايخ ، ويبغض

الشيخ المتخلق بأخلاق الشباب ، وإذا قلنا بصحة فتوة الصبي لم تلزمه من أحكام الفتوة إلا حسب طاقته كما أمرناه بالصلاة لسبع وضربناه على تركها لعشر .

الشرط الثالث - العقل : وهو طريق في درك المعلومات ، والبراعة في اتقان المصنوعات ، والاهتداء إلى الخير وتمييزه عن الشر والكف عنه :

وان لسان المرء ما لم يكن له

حصار على عوراته لدليل

والمرام لكل ذي لب معرفة الحق ليعتقده والخير ليعمل به ،
والشر ليتجنبه

عرفت الشر لا للشر بل لتوقيه

ومن لم يعرف الخير من الشريعة فيه

وكان عليه السلام إذا بلغته عبادة عابد يقول كيف عقله ،
فإن كان ناقصا قال كاد أن يخلق ، وإن قيل كامل قال : كاد
أن يبلغ ، وقال عليه السلام : أعبد الناس أعقلهم ، ونحن
معاشر الأنبياء أمرنا أن نخاطب الناس على قدر عقولهم ، وما
أعطى الرجل أفضل من عقل يهديه إلى هدى ويرده عن
زدي ، وقد أيضا عليه السلام : والذي أحصى رمل الأرض
عددا إن الأرجنتين ليستويان في برصا وصومهما وصلاتهما
ويفترقان في العقل حتى يكون بينهما كالذرة في جنب
أحد .

مسألة : فإن طرأ زوال العقل على الفتى لم يقدح ذلك في
فتوته ، كما لا يقدح في إسلامه .

الشرط الرابع - الدين : فانه أصل والفتوة فرع ، ولا فتوة

لمن لا دين له ، وينبغي أن تعلم أن الفتوة خصلة من خصال الدين وليست مخالفة للشريعة . قال عليه السلام : كل ما ليس عليه امرنا فهو ردى . واذن لا يلزم فى الفتوة بما لا يلزم فى الشرع .

مسألة : فاذا ارتد فتى بطلت فتوته ، فان عاد جدد العهد معه أو حرك ما معه . وأما اليهودى والنصرانى فسيأتى الكلام فيمن تصح منهم فتوته وفيمن لا تصح .

الشرط الخامس - استقامة الحال : وهو أن يكون على صفة مرضيه ، ألا يكون مخنثا ، ولا خنثى ، ولا أبو بشينة ، وليس به شين لازم يلحق به وصمة فى الدين .

مسألة : فان كان المخنث لاداء به ، لكن لفظه خنث فقط ، فلا بأس بدخوله فى الفتوة .

الشرط السادس - المروءة : وهى الحاملة على المكارم : المجنبية للمحارم ، فاذا كان لا مروءة له لا يبالى على أى حال كان ، أو كان لا يستحى من فعل القبائح ، فانه لا يصلح للفتوة :

إذا لم تخش عاقبة الليالى

ولم تستحى فاصنع ما تشاء

فلا والله ما فى العيش خير

ولا الدنيا اذا ذهب الحياء

ولا يحكم بعدم المروءة الا لمن داوم على ترك المروءات وعرف بذلك وصارت عادته .

مسألة : فان علم منه نقصان للمروءة فى بعض الاشياء نقض ولم تبطل فتوته ، فان الجواد قد يكبو والكمال

لله وحده ، فهذا الشرط لا بد منه ، وأى تغيير فى صحة الفتوة
وما عداها من صفات الفتيان المخلصين وما يندبون اليه من
الفضائل والمكارم نحو اغاثة الملهوف ، واقراء الضيوف واعانة
الاخوان ، وبث الاحسان ، وصلة الارحام ، واجتناب الحرام ،
وكف الاذى ، وبذل الندى ، وطاعة الرحمن ، فى السر
والاعلان ، ونحو ذلك من الشروط المكملة ، فهى خلاصة
الكمال ، ونهاية الآمال الموصلة الى المرام ، فى دار السلام .

الفصل الخامس

فيمن تصح فتوته ، وفيمن لا تصح فتوته وفيما يبطل
الفتوة ، وفيما ينقصها وذكر الكبائر والصغائر

اعلم أن الناس ينقسمون الى من ليس له كتاب ولا شريعة
كعبدة الأوثان ولا تصح فتوتهم بحال ، وإلى من له كتاب
وشريعة كالمسلمين ، واليهود والنصارى ، وسيأتى الكلام فى
أهل الذمة ، وأما الناس (١) فصنفان : جن وانس فحكمهما فى
الفتوة واحد ، وهما أيضا صنفان : ذكر وأنثى ، فالأنثى
ليست من أهل الفتوة على ما سبق بيانه فى الشروط ، وقد
شرعنا لها ما تحصل به النواب الجزيل من طاعة بعليها وملازمتها
لبينها ، وأما الذكور فصنفان أيضا : عبيد وأحرار ، وهما فى
الفتوة سواء ، لأن الفتوة صفة دينية غير منقصة لكمال ،
وسيأتى الكلام فى جميع ما أسلفناه آنفا مفصلا إن شاء الله
تعالى .

القول فىمن تصح فتوته

وتصح فتوة كل ذى ذكر بالغ عاقل مسلم ، يمكنه التنزه
عن الأذناس من الجنة والنفس ، وتصح فتوة نصيب الميراث .
والمراعى ، والجندي ، والعبد ، والخصى والحبوب والنساج ،
والحجام ، والحارس ، والنفط ، والنوقاد ، والكناس ، والبصير
وصانع الحدم ، والمبلى فى جسده إذا سلموا فى دينهم ،
وبالجملة كل من صح إسلامه وقبنت توبته صحت فتوته .
وقد اختلف فى قبول توبة الساحر ومن تكررت رذته .

(١) هكذا فى الأصل ، ، ونعمه يريد نحووت

القول فيمن لا تصح فتوته

ولا تصح فتوة المرأة ، والمخنث ، والخنثى المقلب أو أبو بشينة ، والطفل اللكاعى سماعه للخير ، والمختل ، والسكران ، والمكره ، ومن داؤه الجمع بين الشخصين ، والحمار وصامن اللطف والمحسس وهو الديوث الذى جاء فى حقه اقتلوا القرفان الذى لا غيرة له على أهله والسفلة والعشار يفرق بين المرء وزوجه : يخبر عن المستقبل ، والمكاس ، والساحر ، والكاهن يخبر عن الماضى ويزعم أن الكواكب تخاطبه ، وينسب الحوادث الى فعل الكواكب ، والعراف والمبخر والمنجم وقطاع الطريق وخائف السبيل وأعوان الظلمة والقائل بأن مدبر العالم الطوالع السعيدة والحربى وشاعد الزور ، وقاذف المحصنات المؤمنات العاقلات ، والمعرض عن المفترضات والمنهمك فى كبرائى الخطيئات والتفاسد الاعتقادات النارق عن الدين ، كالملاحدة والزنادقة والسفاسطة والمعطلة والمجوس والمتكررة ردة - هؤلاء لا تصح فتوتهم وهم على صفاتهم ، فأما فتوة الأمرء والذمى والأتبى فلنا فيها كلام .

القول فى فتوة الأمر

فإن كان لا يعرف بفساد لكنه نفيس الصورة خمرى فهو فتى ، وإن عرف بفساد وهو المؤجر ثوب ونظر وزجى الى أن يظهر صلاحه ، ويعرف به ويضمن ويفتى ولا بأس بتأخير تكميلهم حتى يلتحقوا .

وأما القول فى أهل الذمة فيحتمل أن يجوز شدعهم من غير تكميل إذا رجى إسلامهم ، أو خيف شرهم ليخالطوا الفتيان ويطنعوا على محسن الفتوة فربما أسلموا ويكون ذلك سبب استعطاف قلوبهم كالتولعة فى الزكاة ، ويكون شربهم بفساد

المسلمين ، وجلوسهم فى ذيل المجلس وحظيظه ولا يكملون حتى يسلموا ويحتمل ألا تصح فتوتهم ، لأن الفتوة صفة شرف وكمال يبنى على أصل وهو الدين ، ومن أضاع الأصل فلا يصح تمسكه بالفرع .

مسألة : فأما من لا شريعة له كالمجوس فلا تصح فتوته قولاً واحداً على ما سبق ، أما الآبق فيتوب ويفتى .

مسألة : وهل تبطل أو تنقص ؟ الأصح أنه من المبطلات .

القول فى الناقص الفتوة

وتنقص فتوة الفاسق بالصغيرة من الذنوب ، والمصور ، والحاكى ، والرقاص ، والزمار ، والقران ، والدباب ، والكلابزى ، والزبال ، والقماش ، ومنقى الكنيف : هو الطاقبى ، والمشعبى ، والمتمسخر ، والمخنث المتزى بزي النساء ، والآفك وهو الكذاب ، والفتات وهو النمام ، والمغتاب والمنافق ذو الوجهين ، والمتحسس والمحرش : يوقع بين الإخوان ، والسفيه انوسخ اللسان ، والمنتن ، ومشاحن الجار ، والغاش يخلط الردى فى الجيد : من غشنا فليس منا ، وجلز المصرف المروس مظهر الجيد من سلعته ، المدلس المخفى العيب من سلعته لخلاف فى بيعه ، آكل ثمن عشب الفحل ، المنق سلعته بالإيمان والمشرى فهما أرباب الحيل بأنواع الحرف على أموال الناس ، والزعمى ، وهو المتخصص ، والقطوى والسيباني ، والصلام ، والهجام ، والطفيلى ، والمماطن ، والمتبس ، ومقشى حمام النساء ، وداخل الحمام بغير مئزر ، واللاعب بالحمام عشب ، وبالشاحين قماراً وبالمدرشير ، ومتخذ الملاعى وصانعها واللاعب بها ، والمصفى الى القينك والمزامير والمعارف وحاضر الأثم كلما يآثم به ، وحاضر أمر الخبائث ، والمعين على شربها ، ومتخذ المحرم من

اللباس والحلية والآنية ، والمستعمل لها والمتحدث بما يجرى له مع زوجته من المباحضة وماد رجله من الجماعة ، والكاشف رأسه في ملا من الناس ، والآكل على قارعة الطريق ، والطامع النظر الى المحارم ، وفاعل الرذائل من الحرف والمهن - فهذا وأمناله ينقص الفتوة ، وربما أبطل بالاصرار ان كانت صغيرة ويخل بالعدالة ويحكم بفسقه واذن لا تقبل شهادته ، وتكره أمانته ، وتبطل في الاموال ولايته ، وينقص أيضا بترك المكارم المندوب اليها في عرف الفتيان من اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف ، واجابة المستغيث ، واقراء الضيف ، وارفاة المقاصد ونحو ذلك . وهذا تمام الكلام فيما ينقص الفتوة .

القول فيما يبطل الفتوة وذكر الكبائر والصغائر

وتبطل الفتوة بما يبطل به الاسلام : فهل تبطل بالكبائر التي لا يخرج بها عن الله : اذا قلنا ان الفتوة عهد على أصل الدين فلا تبطل الا بما يبطل الدين ، ولا يخرج عن الدين بكبيرة سوى الشرك الا على قول العلمية ، وان قلنا هي عهد على المحافظة على فضائل الدين فانها تبطل بكل كبيرة وبلاصرار على الصغيرة . فانما الكبائر فقد اختلف العلماء في حقيقتها فدعب معظم العلماء ان الكبيرة ما وجب لها حد في الدنيا ، وهو طاعن كلام أحمد ، وقالت المعتزلة : حد الكبيرة ما اوجب به عقوبة معدرة ، وقيل ما وعد عليها بالنار ، وقال أبو حنيفة : حد الكبيرة ما ذم عليها ، وقيل كل ما نهي عنه فهو كبيرة ، واخذوا في عدد الكبائر ، فقال قوم : هي ثلاث ، وقيل أربع ، وقيل سبع ، وقيل تسع ، وقيل احدى عشرة ، وقيل سبع عشرة ، وقيل حتى مبيعة لا يعلم عددها كليلة القنز ، وساعة الجمعة ، وجملته ما ذكر من الكبائر : الاشراك بالله ، والاستبراء به أو برسنته أو بأبنته ، وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وأخذ مال الغير بغير حق ، وأكل مال

اليَتيم ، واكل الربا ، والزنا ، وادمان الاثم حتى ليلة الجمعة ،
وليلة القدر ، واليمين الغموس ، وقذف المحصنات المؤمنات
الغافلات ، وشهادة الزور ، والسعى بالبغى الى ظالم يقتله ،
والسحر ، وعقوق الوالدين ، والتولى يوم الزحف ، والانقلاب
من العجزة الى الاعراب ، والاصرار على المعصية ، والاياس من
رحمة الله ، والآمن من مكر الله ، والالحاد بالبيت الحرام واكل
الحذر والظلم والغدر

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا

للمظلم عاقبة تدعو الى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه

يدعو عليك وعين الله لم تنم

ونحو ذلك من الفواحش المتفاقمة . قال تعالى « ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم » يعنى الصغائر ، وقال
تعالى « الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللثم ان ربك
واسع المغفرة » قيل : اللثم و الصغائر ، كالنظرة والقبلة
واللمسة ونحو ذلك . ومن اصحاب قال عليه السلام : اجتنبوا
السبع الموبقات : الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التى
حرم الله الا بالحق واكل الربا ، واكل مال اليتيم ، والتولى يوم
الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ، وذكر فى حديث
آخر : عقوق الوالدين ، واليمين الغموس ، وفى حديث آخر
الزنا بحليلة الجار ، فهذه هى الكبائر وما عداها من الذنوب
صغائر ، وهى أكثر من أن تحصى . وبين الكبائر والصغائر
ذنوب هى أصغر من الكبائر ، وأكبر من الصغائر ، كالكذب ،
والبهتان ، والنميمة ، والغيبة ، ونحو ذلك . فمنهم من عداها
كبائر ومنهم من عداها صغائر ، وحكم الصغيرة اذا داوم عليها
كحكم الكبيرة . قال عليه السلام لا كبيرة مع استغفار ولا
صغيرة مع اصرار . لا تخفوا صغيرة ان الجبال من الخضا .

وقال بعضهم :

لا تنظر الى صغر الذنب وانظر الى عظمة من تعصيه . ويجب على الفتى ان يجتهد في اجتناب الكبائر والصغائر ، فانه ربما استصغر ذنباً وهو عند الله عظيم .

مسألة : فان قتل رفيقه ظلماً بطلت فتوته لقوله تعالى « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً »

مسألة : فان تاب قيل تقبل توبته والآية منسوخة بقوله تعالى « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » وقيل الآية محكمة ولا تقبل له توبة ويخلد في النار ، واليه ذهب ابن عباس وأحمد رحمة الله عليهما .

مسألة : فان ظلم رفيقه بأخذ ماله أو عرضه أو ناله بسوء بغير شبهة ظاهرة بطلت فتوته .

مسألة : فان كان رفيقه الظالم أوجب عليه ردعه ، فان لم يفعل مع القدرة فهو الظالم ، وعلى الخصوص ان كان الرفيق يظلم بجاه رفيقه .

ومن يربط الكلب العقور ببابه .

فعفر جميع الناس من رابط الكلب .

مسألة : فان سعى بظالم الى عادل يأخذ منه الحق ويكفه عن انظم استحب لنفتى ذلك ولم يزيف به كما ظنه بعض الجهال .

واذا تخاصم الرفق وعلم الباغي منهم أجبر ووعظ ووقف حتى يفيء الى أمر الله ، ول تعالى : « وان طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله »

مسألة : فان تحاكما عند القاضي فحكم لأحدهما على الآخر لم يقدح ذلك فيهما ، لقوله عليه السلام : انكم لتحتكمون الى ولعل أحدكم الحن بحجته من صاحبه ، فمن حكمت له بشيء من حق أخيه فانما أحكم له بقطعة من النار فلا يأخذها انما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

مسألة : فان شهد على رفيقه بحق جاز ويزيف بكتمانه عند الله لقوله تعالى : «ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه»

مسألة : فان استوفى من رفيقه حدا أو قصاصا وكان أهلا لذلك جاز لقوله عليه السلام لو سرقت فاطمة لقطعتها .

مسألة : فان لم ينصر رفيقه على ظالمه كره ولم يبطل لاحتمال العدو ، لان العفو أجدر بالفتيان .

مسألة : فان أكره على مالو فعله باختياره بطلت فتوته بطل المكره بكسر الراء ، دون المكره .

مسألة : فان ادعى ان هذا الفعل يبطل الفتوة واحتمل الامر قبل عذره وحرك مامعه .

مسألة : فان كره بعض الفتيان زوجته فطلقها جاز لغيره من الفتيان ان يتزوجها ولم يقدح في فتوته الا أن يكون قد أفسد ما بينهما .

مسألة : واذا حلف الفتى بالفتوة على فعل جائز لزمه الوفاء به ، فان حنث نقصت فتوته ، لانه اعتقد انعقاد اليمين .

مسألة : فان قال أنا بريء من الفتوة أو نزلت عنها كره وصح خروجه منها .

مسألة : فان قال لست من أهل الفتوة تواضعا واستصغارا لنفسه لم يقدح ذلك فيه

مسألة : فان قال ثبت عندى بطلان فتوة فلان لم يقبل منه الا بيمينه .

مسألة : فان اختل عقله لعلو سنه لم يبطل ، ولا يلزم بأحكام الفتوة ويمنع من الشد والتكميل

مسألة : واذا اتهم الفنى رفيقه ولم يظهر الحق منهما لم يبطل واحد منهما ، ويجب على الفتى ان يتجنب مظان التهم ، ويجب على غيره حسن الظن به ولا يحكم ببطلان الفتى الا بالعيب المتفق على كونه مبطلا ومع الاصرار بعد الانذار ، ويراجع مهما رجع صلاحه ، وقد راجع نوح قومه ثلثمائة سنة وعاتب الحق يونس حين استعجل على قومه بالهلاك ، ويجتهد أن يثبت على أحد حدا ولا عيب ولقد شهد أربعة بالزنا على بعض الناس عند عمر بن الخطاب فلم يزل عمر ينصح الشهود حتى رجع واحد منهم فدرأ الحد عنه وأرسل الى المذكورة وزوجه بها ، ولم يثبت عليه شيئا واذا أنذرت رفيقك ووعظته وجب أن تكون رقيقا ناصحا ، قال تعالى «ولو كنت فظا غليظ القلب لانقضوا من حولك» وقال موسى واخيه حين أرسلهما الى فرعون «فقلوا له قولا لينا لعله يذكر أو يخشى » وقال عليه السلام : لا تكونوا عون الشيطان على اخبكم ، والمعنى عطف أخاك برفق عند زلته فاللطف يعطف من يعناد الزلل :

وان تكن بين قوم لاخلاق لهم

فامنن عليهم بمعروف اذا جهلوا

فان عصوك فراجعهم بلا ضجر

واصبر وصد برو ولا يحزنك ففعلوا

فكل سنة برجيهـ معصية

عليك نفسك ان جازوا وان عدلوا

وتعجب التوبة مما يبطل أو ينقص ، ومتى اقترف واعترف ، ثم تاب قبل منه ، قال تعالى : « هو الذي يقبل التوبة عن عباده » وقال : « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ، ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » وقال عليه السلام : الندم توبة ، والتوبة تمحو الجوبة ، والتوبة تجب ما قبلها ، التائب عن الذنب كمن لا ذنب له ، وقال تعالى : « ان الله يغفر الذنوب جميعا »

لا تحصر العفوان كنت امرا حرجا فان حصرك هو للدين ازراء

ومع التوبة يحرك مامعه تجديد العبد وان اعتذر عما يبريه قبل منه وأحسن به الظن ، وقال عليه السلام بروا آباءكم تبركم أبناءكم عفووا تعف نساؤكم ، ومن لم يقبل من متنصل عذرا صادقا كان أو كاذبا لم يرح رائحة الجنة . وقال عليه السلام ما أحد أحب إليه المعاذير من الله تعالى ، وقال اقم لاختك سبعين عذرا فان لم تعلم له عذرا فقل لعل له عذرا .

الفصل السادس

فى الالفاظ المصطلح على استعمالها بين الفتيان

وتلك زهاء اربعة وعشرين لفظا وهى :

البيت ، والنسبة ، والحزب ، والكبير ، والجد ، والزعيم ،
والرفيق ، والمسابل ، والدكش ، والبكر ، والثقيل ، والوكيل
والنقيب ، والشد والتكميل ، والشرب ، والمحاضرة ، والتفلة ،
والتغير والاخذ ، والرمى ، والعيب ، والمحكمة ، والهبة .

القول فى البيت

هو اسم لطائفة تميزت بصفة تخصها ، ورأى تفردت به كما
تيل بيت الرهاص ، وبيت السخينة

القول فى النسبة

هى انتماء الفتى الى كبير ، واجداد كالنسبة فى الاولاد الى
القبائل والعشائر .

القول فى الحزب

هو اسم يطلق على المنسوبين الى شخص واحد كحزب الولد ،
والفرق بين الحزب والبيت ان الاحزاب تتفق وتتخاص ، والبيوت
تختلف ولا تتخاص ، وقد تكون احزاب فى بيت واحد

القول فى الكبير

هو كالأب فى النسب ، وهو الذى يشرب له من غير واسطة ،
ويسمى الشارب له ابنه ، ويطلق اسم الكبير على زعيم القوم ،

ويسمى الشيخ والمقدم ، والقائد ، والعقيد ، والاب ، ورأس
الحزب ، وكبير البيت ، وزعيم القوم هو المقتدى برأيه ، ويستحب
أن يتحول الفتيان بالمواظظ ويتعهدون بذكر فضائل الفتوة
وشرائعها

القول في الجد

هو كبير الكبير ، ويطلق على الجد القريب والبعيد في النسبة

القول في الرفيق

وهو اسم صالح لجميع المنتسبين في بيت واحد بعضهم لبعض
رفقة ، وأما رفيقه من يده فهو من يشرب له من غير واسطة ولا
تغيير ، وسواء أكان تفتيشه بيد الكبير أو بالوكيل ، وهو والابن
واحد وليس لكل واحد من الكبير والابن أن يعترض على صاحبه
فيمن يفتيه ، أو ينسب إليه ما لم يثبت عيبا .

القول في حقوق بعضهم على بعض

حق الكبير على الصغير أن تقبل اشارته ، وتطيع امرته ، ولا
تخالفه فيما ليس بمعصية الله قال عليه السلام لا طاعة لمخلوق
في معصية الله الخالق ، ومن حقه ألا يقطع الشرب له بالكلية
ويؤاده ويبدأه بالسلام ، ويجلس دونه ويحترمه احترام الوالد
ويكون له أطوع من نعله ، وأتبع من ظله . وحق الصغير على
الكبير أن يطلع على أحواله ، ويستقصي حوائجه ، ويسأل عن
حاله استعطافا به واشفاقا عليه كفعل الوالد بولده ويسوسه
برأيه ويذوده عما يدنس ويثقفه في آدابه .

حق جميع الرفاق بعضهم على بعض

المناصحة والمساعدة والمواساة ، وإن يجيب أحدهما إلا آخر إذا دعاه ، ولا يمنعه من الفضل من ماله إن احتاج ، ويأخذ بشاره أن بغى عليه أو يعفو أو يخلفه فيما يؤثر في أهله إن غاب ، قال عليه السلام : المؤمن أخو المؤمن ، المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، وشبك بين أصابعه وقال : المؤمنون كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله ، وتجب نصره الرفيق ، قال عليه السلام : انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، وقد فسر عليه السلام نصره الظالم بأن تردده عن ظلمه ، ويجب أن يستر عيبه ، ويقيه من عثرته ويصفح عن هفوته ، ولا يتبع عورته . قال عليه السلام : من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته ، ومن ضار ضار الله به ، ومن شاق شاق الله به ومن سمع سمع الله به ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً في الدنيا سترة الله في الآخرة ، ولا يزال الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

مسألة : ويكره أن يكلف رفيقه ما يشق عليه ، وإن يسأله ديناً إلا لضرورة ليست به .

مسألة : ويجب ألا يسمع فيه كلام وشاة السوء والساعين بالمكاره ، قال تعالى : « إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

ومن حق الرفيق أن يسلم عليه والبادي أفضل ، والرد واجب : قال تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها » ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشيع جنازته إذا مات . قال عليه الصلاة والسلام : للمسلم على المسلم ست : بالمعروف يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويشيع جنازته إذا مات ، ويجب له

ما يحب لنفسه • ومن حقه أيضا أن يتجنب المآثم في حقه فلا
يبغضه ولا يحسده ، ولا يشتمه ولا يخونه ، ولا يحقد عليه •
قال عليه السلام : كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
وقال عليه السلام : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ، ولا يستلمه ،
ولا يخذله ، ولا يحقره • وفي الصحيح : اياكم والظن فإنه أكذب
الحديث ، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله اخوانا ، ونهى عليه
السلام أن يهجر الرجل أخاه فوق ثلاث ، وقال عليه السلام :
تفتح أبواب الجنة كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل عبد وأمة
ولا يشرك بالله شيئا الا لمصارم ومشاحن ، فيقول عز وجل
انظروا عذرين متى يصطلحان ؟ ومن آداب الرفقة والصحية **الآ**
تكرر على الرفيق بحيث يملك ، قال عليه السلام لأبي هريرة :
زر غبا تزدد حبا وفي المعنى :

ولا تكثرن على صاحب

فما مل قط سنوى الواصل

وأيضا :

لا تزور من تحب في كل شهر

غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال في الشهر يوم

ثم لا تنظر العيون اليه

وقال آخر :

عليك باقلال الزيارة انها

تكون اذا دامت الى الهجر مسلكا

القول فى المسايل

وهو من أسماء المضايقة وهو المساوى فى الدرجة السابله ،
وهما الابنان يشربان لكبير واحد ، وهما عديلان ، وقد يطلق
على المساوى فى عدد الأجداد كابن العم المساوى لابن عمه
الأخر .

القول فى الدكش والبكر

الدكش هو الذى كان فتى وليس هو الآن فتى ، والبكر
هو الذى لم يدخل فى الفتوة أصلا ، وهذا هو الفرق بينهما
تبينه . ولا فرق فى كونه دكشا بين أن يكون قد أخذ منه أو
رمى ، وكذلك البكر لا فرق بين أن يكون أصليا أو كان يشرب
لمن يعتقد من فتاه ثانيا ببطلان الاول ويستصحب له اسم البكارة
ما لم ينتقل .

مسألة : وهل يجب على المفتى للدكش أن ينظر : هل أخذ منه
أو رمى ، وعمل كان ذلك بحق أم لا ؟ فيه احتمالان

مسألة : فإن كان يعلم أنه كان محقا فى رمية أو بغى عليه فى
الأخذ منه فتاه .

مسألة : وإن علم أنه رمى بغير حق فلا أراه صالحا للفتوة .

مسألة : فإن كان أخذ منه بحق نظرت فى ذلك العيب ، فإن
كان مما يمكن زواله فالظاهر من حال المسلم الاقلاع عن الذنوب
فيفتيحه ، وإن علم أبقاه أمر بالصلاح ورجاه .

القول فى النقىل

هو فى الحقيقة من انتقل عن كبيره و جده فى العرف ،
ويطلق على من انتقل بغير حق ، والانتقال تارة يكون من بيت

الى بيت ، ومن حزب الى حزب ، ومن الكبير الى الجد ، ويكون
بحق وبغير حق ، فاما الانتقال من بيت الى بيت فان كان الناقل
يعتقد ببطلان البيت المنقول جازت النقلة وكان المنقول بكرا ،
وان كان من حزب الى حزب لم يجوز ، لانهما في بيت واحد
يعتقد كل واحد منهما صحة صاحبه الا ان يكون على وجه
النزول أو الهبة ، فان اختلفت الأحزاب في المذهب ولم يحاضر
صارت كالبيوت .

والانتقال بغير حق لا يجوز ، وبحق لا يخلو اما ان يكون
العيب في الكبير أو في الصغير ، فان كان العيب في الكبير
غيره وشرب لجده على ما هو المشهور من عادة الفتیان ، وان
كان في الابن فقد بينا أنه ينظر الى بقاء العيب وزواله وأسلفنا
حكمه .

القول في الوكيل

الوكيل هو المفوض اليه لفظا التصرف في فعل جائز للموكل
فعله مع قبول المتوكل ، وكونه صالحا لذلك فهو كالنائب
والماذون له ، وينبغي أن يكون من أتم الفتیان عقلا وفعلا .

وهل فعل الوكيل الموكل أجل عند قوم دون قوم . والوكالة
تكون في شيء خاص كما لو وكله في شئ انسان أو تكميله
ومطلقه كما لو أقامه مقام نفسه في جميع ماله وفعله من الشد
والتكميل واللبس ابتداء من شئ والاختذ والرمي والمحكمة
واثبات العيب والتقاضى عنه والمطالبة بالحجج ونقل الرفاق
والنزول عنهم والمعارضة بهم وردعهم ونحو ذلك .

وعلى للوكيل أن يوكل ان أذن له ؛ نعم ولا ينظر فان كان
الموكل فيه ليس من شأن الوكيل فعله جاز ، والا فلا . ولا بد
أن يكون للوكيل من يجوز له ذلك الفعل في الجملة ، فعلى هذا
لا يجوز توكيل المرأة في الفتوة .

مسألة : هل يجوز أن يوكل في الفتوة غير فتى ، الإصلاح :
لا يحتمل أن تصح وكالته ان كان أهلا للفتوة بوصية الفتيان
والا فلا ، كما لو استناب الحاكم جاهلا في الحكم ، وللوكيل
عزل وكيله متى شاء ، وللوكيل بغير جعل عزل نفسه أيضا
واذا شئت أن يقع لازمة يشهد كل واحد من الوكيل والموكل
على نفسه أنه متى رجع عن تلك الوكالة فقد عاد الى ما أقر به
أولا ، والفعل الواقع بغير العزل لاغ ، واعتراف الوكيل واقراءه
لا يلزم الموكل .

القول في النقيب

وهو المنصوب من قبل زعيم القوم واسطة بين الفتيان ، وهو
خطيب القوم ، والساعى بينهم بالمصالح فهو كالترجمان وله أفعال
ستساق اليك عند كلامنا في كيفية الفتى .

مسألة : وهل للنقيب أن يستنيب ؟ أجل . وهل يجوز أن
يتنقب غير فتى ؟ فيه احتمالان : لا ، ونعم ان كان صالحا مرضيا
للفتيان ، والمستحب أن يكون من زمرتهم ، لأنه يحرضهم على
التمسك بالفتوة ، ولا جدر به أن يدعو نفسه أولا ، قال تعالى :
« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم » وقال « وما أريد أن
أخالفكم الى ما أنهاكم عنه » .

القول في الشد والتكميل

الشد مبدأ العهد وانعقاد—أذه وسبب دخوله في الفتوة ،
والتكميل تمام العهد وكماله ، ومنزلة الشد والتكميل في النكاح
والدخول بالزوجة . والشد كالاملاك والتكميل كالدخول
بالزوجة والنسب وان جاز من غير سابقة شد فانه أيضا شد
جد والشدود هو الذى يعطى أول ما يفتى شيئا يشد به وسطه

ليجوز ويمتحن ويكمل بعد ذلك . وجد المكمل هو الذى يعطى السراويل أو السلاح ، اما بعد شد أو ابتداء الصلاحية لذلك عند الكبير . ولا فرق فى الشد بين أن يكون سيرا أو منديلا أو نحوه . ويكره ما يشبه الزنار . والسنة فى التكميل بالسراويل ويجوز بغيره من اللباس والسلاح وإذا كمل فابتداء العادة أن يشد قبيل لبسه ، ويستحب أن يكون الكبير قد لبس السراويل أو حط رجله فيه ليمسه بركبه ، وكذلك الخرقه من الشيخ والمستحب استبقاء ما معه . وقد كان بعض السلف يدخر سراويله ليستشفى بها الناس . والمعتبر فى انعقاد الفتوة العهد والمناولة . لما يحمله الرجل ويبقى عادة ، وما ذلك من الشد واللباس والشرب فهو سنن الفتيان المستحسنة . والشرط فى عقد الفتوة ينقسم الى لاغ لا يجوز الوفاء به كالدخول فى سفك الدماء بغير حق ونحوه ، والى مستحسن فى الشرع والعقل كالدخول مع الرفيق فى تحمل المشاق والكلف من الديون وغيرها .

القول فى مسائل الشد والتكميل

فان ادعى الابن على الأب أنه فتاه ولم يعترف بذلك الكبير ولم يشهد به أحد مع امكان الاحتمال وصلاحية المدعى للفتوة لم يجز تكذيبه لاحتمال النسيان وصدق فى دعواه ، لأن قصاراها انتسابه الى الكبير فكان كمن قال : انى ثبت على يدى الشيخ فلان ولم يذكر الشيخ ذلك ، وكمن روى حديثا ونسى راوى الاصل روايه الفرع عنه ، ومثل ذلك ما حكى أن ربيعة روى عن الزهرى رواية ولم يذكر الزهرى تلك الرواية فكان الزهرى بعد ذلك يقول : حدثنى ربيعة عنى الى حديثه بكذا وكذا ولم يوجب ذلك قدحا فى الرواى كذلك المدعى للفتوة فان ادعى الكبير بالفتوة وأنكر الصغير كان كمن ادعى زق عبد فلا يقبل منه والفرق بين هذه والأولى أن الصغير يدخل تحت حكم الكبير ،

ولا كذلك الكبير ، فان اعترف بالفتوة وانكر الصغير التكميل وكان صالحا له كمل وان أنكر الكبير التكميل وادعاه الصغير وكان صالحا له قبل منه وحرك ما معه فان ادعى اثنان كل واحد منهما يقول زيد رفيقي ، فقال زيد أنا رفيق واحد منهما لا أعلم عينه خير فيهما وحرك ما معه فان استويا في نظره اقرع بينهما ، فان ناوله شدا أو سراويل بغير نقيب ولا شاهد شرب صح والقول قول الابن عند الانكار فان شرب لزيد من غير تفت ثم اشتد الى عمرو فهو رفيق عمرو فان اشتد الى زيد ثم لبس من عمر فهو رفيق زيد ، فان ناوله أحدهما شدا والآخر شده ، بيده فهو رفيق الأول منهما ، فان اشتد وهو غير صالح وصلاح ثم اشتد من آخر فهو رفيق الثاني ، فان اشتد وهو صبي من خالد ثم بلغ واشتد الى بكر فان كان مراهما فهو رفيق الأول ، وان لم يكن مميزا فهو رفيق الثاني واذا أفتى المميز ثم بلغ حرك ما معه ، فان شد الرفيق ولم يرض الكبير لم يكن منعه ، فان قال الكبير لرفيقه شد لزيد جز لابن شده ، وان يعرفه .

مسألة : وهل له الامتناع من شده؟ لا ويحتمل أن يفسح له في ذلك . وللمشددود شد من شاء ولا يكمل الا كامل ، فان كمل غيره قبل تكميل نفسه أعاد تكميل رفيقه بعد تكميله أو حرك ما معه ، فان شرب الميت جاز ويلبس من وكيله ، فان لم يكن وكيله يلبس من ذريته أو من أولى الأمر ويصير ذلك كالدخول في الملك والمذاعب فانه اقتساب الى الميت واقتداء به ، ومثل ذلك ما يفعله المشايخ من تلبيس الخرقه والتشويب عن السلف الماضيين ، فان مات الكبير ومع الابن شد جاز لوكيل الميت تكميل الابن فان شد لزيد بشد أو ألبسه سراويل ثم أخذ ذلك منه على سبيل العازية أو الهبة وفتى به آخر كره ذلك وجاز .

القول فى الشرب والمحاضرة

والشرب من سنن الفتیان ، وهو طريقة تجمع الرفاق لينسبوا الى كبرائهم ، ويحصل به تعارف الاحزاب والالفة والمودة بين الاخوان ، وهو كما قيل : الشد بمنزلة اليمين فى النكاح قبل العقد ، فان رأى غيرها خيرا منها جاز له العدول الى ما هو خير ، وشرعيته بعد العهد والمداومة عليه حسنة لتجدد عهد الفتوة وبه صلة الابن بكبيره ويكره قطعه بالكلية ، وأما المحاضرة فهى الموافقة فى الشرب فى مجلس واحد ، وفى موافقة لقلوب الفتیان .

القول فى مسائل الشرب والمحاضرة

فان فعل بعض الاحزاب ما يبطل الفتوة لم يحاضروا ، فان ادعوا أنه ليس يبطل حكم بالوقوف الى أن يظهر الحق ، فان شرب الغائب لما سمع عنه من حسن السيرة جاز وكان بمنزلة الخاطب للفتوة ، فان قبله الغائب وانفذ له شدا وسراويل جاز وكذلك ان وكل الشارب من يعطى عنه فان أبى الكبير قبول الشرب لم يحاض عليه ، فان شرب لبيت أو لغائب واحتمل أن يلقاه أو يلقى وكيله أو يعاصره لم ينكر ذلك فان شرب بشرط فقال شربى لفلان على أنه جد جاز وكره ولا بأس أن يشرب محاضرا يجمع الفتیان لأن الفتوة ترجع الى أصل واحد وان اختلف فيها النسب والاحزاب ، فان امتنع من المحاضرة مدعىا لعيب طولب ببيانه ، فان بين والا فهو المعيب بذلك ، ولا يقدح ذلك بالمتبوء بالعيب فانه ما من أحد الا وقد تكلم فيه بما ليس فيه ، وشواهد ذلك ظاهرة أكثر من أن تحصى ، فان ذكر سبب امتناعه سومح وسعى فى الصلح بينهما ، فان امتنع من محاضرة زيد وعابه ثم عاد وحاضره جاز لزوال العيب فان حاضره من لم يحاضره

كبيره فيه احتمالان ، فان لم يحاضر لمن لم يحضره الكبير جاز لجواز ان يظهر على ما لم يظهر عليه الكبير . فان اجتمع من لم يحاضر واجاز ان يشرب كل طائفة على حدة . ويكره اجتماعهما لخوف الفتنة ومن يستبق بالشرب منهما ان تشاخا يقرح بينهما . فان كان في احدي الطائفتين عالم او سلطان او شريف قدموا بذلك فان حضر ذمى شرب بعد المسلمين .

القول في النقلة والتعبير

بيننا عند كلامنا في النقيض اقسام النقلة ، ويجب أن يكون بحق ، فان انقل عن المفضل الى الفاضل وكان عادما للفاضل عند اتصاله الى المفضل جاز في أحد الاحتمالين ، قال عليه السلام : انفقوا ائمنكم فكما ان الامام يقتدى به فكذلك الكبير وعلى الثاني ، لا لانه يؤدي الى تزلزل الفتوة فانه قل أن يوجد فاضل لا افضل منه .

القول في التعبير

وهو أن يبطل الأُب فيعبره الابن ويشرب جده .

مسألة : وهل يجب عليه العبور أو يجوز له بالنقلة الى غيره؟ فيه احتمالان ، وكذلك أن عبر وشرب للمجد الاول أو لجده لا يلي الأُب .

مسألة : ولا يجوز للرفيق أن يعبر كبيره بقول مسابليه أو بعض أهل بيته لاحتمال أنهم جرحوه بما لا يراه جرحا الا أن يثبت عنده العيب فيجوز له العبور .

القول فى الاخذ والرمى والعيب والوقف والمحاكمة والهبة

مسألة : ولا يجوز أن يكون . لاخذ والرمى الا بحق ومحاكمة

الهيئة . وتجاوز الوكالة فيهما .

مسألة : ويستحب أن يكون فى موضع خال أو بحضرة

الشهود .

مسألة : ولا يجوز الاخذ والرمى الا لوجود العيب المبطل

حالة ذلك .

مسألة : وتبوتها بالاقرار والبينة .

مسألة : وتقام البينة فى وجه . لشهود عليه ، وله القدح

فى الشهود ، وينظر ثلاثة أيام فى ذلك .

مسألة : وهل يجوز أن يشهد على الفتى غير فتى ؟ فيه

احتمالان . . الاصطلاح : لا ، ولا يشهد الا بما يتحققه ، قال

عليه السلام : على مثله فشهدوا والا فلا ، وأشار الى

الشمس .

مسألة : فان اخذ الكبير أو رمى الصغير بغير حق زين بذلك

عذاب اليم .

مسألة : وهل يخرج بذلك ان لم يظهر صدق الدعوى

ولا رمى ولا يدع به ويعطى صاحبه سر ولا يشيع ما ستره الله

تعالى . ان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم

عذاب أليم .

مسألة : فان تحاكم وأثبت الابن على الاب عيباً ورمى عليه

فهل يجوز لبقية رفقة الرمي ان وقفوا على البينة والعيب ؟
نعم والا فلا .

مسألة : فان ادعى الاخذ أو الرمي فالقول قول المنكر .

مسألة : وهل يخرج بذلك ان لم يظهر صدق الدعي
وبرهانها بحق ؟ نعم ، فان اتفقا على مناولة ما معه لصاحبه
من غير عيب ولا حكومة كره لصاحبه وكان تقابلا ، فان اثبت
في العيب عيبا جاز له النزول عنه كما لو كان حاضرا ،
والاستحسان الحكم بالوقف الى أن يستمع الغائب وينظر ماذا
يجيب لعل له عذرا وانت تلومه ، فان قال لكبير اخذت وقال
الصغير : بل رميت عليه ثبت انفصالهما ، ولم يوجب ذلك
قدحا في حق أحدهما لاحتمال قوله للصدق والكذب ، فلا يخرج
بالاحتمال ، وصار ذلك كمن حلف أن هذا الطائر غراب وحلف
آخر أنه ليس كذلك : وجهل الامر فانا لا نوقع اليقين بهما
ولا بواحد منهما .

فأما العيب فقد سبق كلامنا في أنواعه ، وان منه ما يبطل
القنوة ، ومنه ما ينقصها ، والعيب تركب المنهى عنه ، والمعيب
من فعل ذلك من لم يظهر منه فاحش ولا يقول من خلا من عيب
جل من لا عيب فيه وعلا ، وعند الجهال العيب من في أهله من
ذكرن بفساد ، والتنظيف من خلا من ذلك ، وسنبين قبح مقالته
في آخر الكتاب ان شاء الله تعالى .

والحكمة في العيب يجب أن يكون سرها أو جهرها بحال
العيب كالطوبى من الذنب ، ويكون بحضرة زعماء الفتيان ،
أو بحضرة من يرتضيه الخصمان ، وأن يكون العيب وقعا
لا يمكن رفعه حالة المحاكمة أو حكمه ، وأن يتفق على كونه
مبطلا .

مسألة : ولا يحكم على الفتى حتى يسمع كلامه ، قال صلوات الله عليه لعل عليه السلام : يا على اذا جلس اليك الخصمان فلا تحكم لاحدهما حتى تسمع كلام الآخر .

مسألة : فان امكن زوال العيب روجع قبل المحاكمة ، فانذر فى الباطن ، ولا تظهر عليه لقوله صلى الله عليه وسلم : من نصح اخاه فى الملاء فقد فضحه ، واذا قال العيب حرك مامعه تجديد للعهد ، فان ظهر على عيب بالامس وجهل استمراره الآن لم تجز له المؤاخذه به كما لا يجب انكاره . قال الله تعالى « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » . ولان الانسان لا يفتر بما كن معه مع انتقاله عنه ، قال تعالى « عفا الله عما سلف »

مسألة : وذا لم يتضح العيب او كان للمعيب نوع عذر او شبهة حكم بالوقف دون البطان .

مسألة : وكل من حكم بوقفه جاز أن يوقف قدحه حتى يبرىء ساحته ، وكذلك توقف حالة المحاكمة واثبات البينة الى أن يتضح الامر .

مسألة : واذا حكم الكبير بوقف الصغير لشبهة جاز ولا فلا .

مسألة : فان غير يعيب فيمن يلزمه أمره نظر فان كان قادرا على زواله لزمه ذلك ، وان ثبت عجزه لم يقدح ذلك فيه ، لقوله تعالى « لا يكف الله نفسا الى وسعيا » . . . ولا تزور وازرة وزر أخرى ، . . . وقال تعالى « عليكم أنفسكم » . . . وقد يكون أهل المسلم كفارا ولا يضره ذلك « انك لا تهدي من أحببت » .

سؤال : وليس الواجب عليه مع القدرة سوى المنع والحجر
عما ثبت ويهمل في السعى في ذلك ، ويشدد في الاثبات ،
ويسامح في الاعتذار . ويحرم عليه اتلاف المذكور بالعيب ،
فان منع زيف بذلك وان عجز عن المنع لم يلزمه سوى البراءة
قال تعالى « فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه » وقال « انا براء
منكم » . . . ويحرم تصديق الواشى بذلك ، ولقد كان عليه
السلام يأتيه الرجل يقر على نفسه بالزنا فيكره أن يثبت عليه
ذلك . . . وفي الصحاح يروى عنه عليه السلام أنه جاء الاسلمي
فشهد على نفسه بالزنا أربع مرات أنه أصاب امرأة حراما
وكل ذلك يعرض عنه عليه السلام فأقبل في الخامسة ، فقال
عليه السلام : أنكحتي ؟ قال : نعم ، قال حتى غاب ذلك
في ذلك ؟ قال : نعم ، قال كما يغيب المروء في المكحلة
والرشاء في البئر ؟ قال : نعم ، قال : هل تعلم ما الزنا ؟
قال : نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من زوجته حلالا ،
وأنا ما عر أربع مرات يقول له : طهرني يا رسول الله ، وهو عليه
السلام يقول له في كل مرة : ارجع الى الله فهو قريب ، وتب
اليه حتى قال انه مجنون ، ف قيل لا ، فقال : انه سكران ،
فاستنكهه رجل فقال : لا . . . كل ذلك تشديد منه عليه
السلام في هذا الامر ليستتر الناس ، هذا في حق من يقر
على نفسه ، فكيف بمن يتكلم في أعراض الناس ، قال عليه
السلام : ما عرج بي إلى السماء مررت بقوم في النار لهم
أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء
يا أخى جبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكثون لحوم الناس
ويقعون في أعراضهم . . . ويجب علي الغتي أن يحسن سيرته

وسريـرته ، ويجتهد فى تهذيب نفسه عن العيوب ولله در
القائل :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا
كنقص القادرين على التمام
وان هو وقف فى مقام التهمة ومظان الريب تكلم فيه .
قد قيل ما قيل ان صدقا وان كذبا
فما اعتذارك من قول اذا قيل

ومن دنا من المحذور خيف عليه ، قال عليه السلام : الا إن
لكل ملك حمى وحمى الله محارمه ، فمن حام حول الحمى
يوشك أن يقع فيه ، واذا تاب عما صدر عنه قبل منه ، لان
الانسان مطبوع على النقصان ويجب التغافل عن هفوات
الاخوان والصفح عنهم :

القول فى الهبة

سامح أخاك اذا خنط
منه الاصـابة بالغلط
واعلم بأنك . . ان طنبت
مـهـذبـا زمت الشـطـط
من ذا الذى ماسـاء قط
ومن له الحسنـى فقط
وان هو لم يسامح وتكلم فى عرض أخيه تكلم فيه وأظهر
عيوبه .

مسألة : وهل تصح - يقصد الهبة - أم لا ؟ على احتمالين ،

أحدهما : لا تصح لوجوه : منها أنها توهم الزهادة في الرفيق ،
الثاني : أنها تصرف في الحر ، الثالث : أنها تقتضي أن يتعلق
على الفتى من لا يعرفه ولا يرتضيه ، ووجه صحتها أن الرفيق
قد يكره رفيقه ولا يمكنه الانفصال عنه ، فيرسل بالهبة إلى
الانتقال ، الثالث : أنه قد يتوالى بعض الفتيان فيؤثر أن يكون
ذلك كبيرة ، وقد تقع إليه حاجة مستمرة فتوصل بالهبة إلى
قضاء إربه ، فإن كانت من بيت إلى بيت يغتفر الواهب
أو الموهوب بظلام لم يجز قولاً واحداً ويصير كمن وهب عبداً
مسلماً لكافر فإنه لا يستديم ملكه بالاتفاق .

مسألة : وإن كانت من الأحزاب اعتبر فيها ثلاث شرائط :
رضاء الواهب والموهوب ، وقبول الموهوب له ، ورفقة الموهوب
والمقول والمعبر تابعة تابعة له ، وتجاوز الهبة معاوضة رفيق
برفيق ، والموهوب ينتقل على مأمعه من شد أو تكميل ويستحب
تحريك مأمعه بعد الانتقال .

الفصل السابع

في كيفية الفتى وصفة الطلبة والاجتماع والدعوة

والخطبة والشد والتكميل والشرب

اما الطلبة فانها تستحب اذا كان قصد الطالب بها وجه الله تعالى والاتصال بأهل الصلاح ليحذرو حذوهم ، ويتخلق بأخلاقهم لينال بذلك الترقى عند الله عز وجل ، ويكره أن يكون قصده الامور الدينية والدنيوية ، أو لغرض فاسد زائل . قال عليه السلام : من وادك لامر زال حين زواله . والمطلوب يستحب أن يكون موصوفاً بالخير والديانة والعفة والكرم والشجاعة والمروءة وكمال العقل وحسن الخلق والادب ونحو ذلك من الصفات الجميلة ، ويجوز أن تكون الطلبة من الأولاد ومن الاب ، والمختار أن يكون بمراسلة ، وإذا طلب من لا يرتضى أمر بالصالح ورجى ويرتضى به حتى تظهر صلاحيته ولا يصرح له باليد ، فإن كان يعرف بفساد وتآب منه ضمن وفتى ، وإذا اتفق اجتماعاً في ملائمة من الفتيان ولا بأس بحضورهم في أمكنة العبادة والربط والمساجد ، لأن ذلك معاهدة على فعل الخير والكف عن الشر ، وكان بمنزلة التوبة وأشبه بالموعظة وليس الحرق . ويحتمل أن يكره في المسجد لقوله تعالى « في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه » . . . وإن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً ، وأما الدعوة فهي من سنن الفتيان .

مسألة : ويستحب أن يجتمعوا على طعام مباح لا كلفة فيه من غير سؤال له . ويجوز أن يكون من الطالب أو المطلوب أو منهما أو من غيرهما ، وأكثر ما يقع في العرف من الطالب

دون المطلوب والمختار أن يكون من أيسرهما ، ويجوز قبل التفتي أو بعده ، وإذا دخلت على طعام الفجاءة فافرض أنك صاحب الطعام ومالكه هو الداخل عليك ، فإن كنت تؤثر أن تطعم معك فكل معه وإلا فلا ، ويسمى عند الأكل ويحمد عقيبته ، قال عليه السلام : من قال عند أكلة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه داء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم لم يضره ذلك الطعام ، ومن قال عقيب أكله الحمد لله الذي رزقني هذا وأطعمني من غير حول مني ولا قوة غفر له ماتقدم من ذنبه .

ومن سنة الفتيان الدعاء بعد الطعام ومن الدعاء : أكل عندكم الأبرار وأفطر عندكم الصائمون وصلت عليكم الملائكة وذكركم الله تعالى فيمن عنده اللهم غفر لأكليه ، واخلف على بأذنيه بمحمد وآله الطاهرين ، ثم يضرع النقيب ويقوم مسلماً على الجماعة . والعادة عند وسطه خدمة للفتيان ، هذا بعد أن يشاد زعيم القوم والطالب والمطلوب ويحمد الله تعالى وينثي عليه ويذكر النبي عليه السلام ويصلي عليه ويدعو لإمام العصر ولنائبه في تلك الأرض ، ثم ذكر من آيات القرآن ومن أخبار الرسول عليه السلام ما يوفق ثم يذكر فضل الفتوة ويحث على الدخول فيه وينبه الفتى على ما يندب إليه من فعل المكارم واجتناب المحرم ، ثم يأمر الطالب أن يقوم ويأخذ بيده ويستنطقه من يريد من الجماعة . ثم يقول : يا معاشر السادة الحاضرين والغائبين المخلصين ، إن فلاناً ويثني عليه بما هو أهله ويسميه بأحسن مريدعى به لقوله تعالى و قولوا للناس حسناً ، معناه قولوا لهم ماتحبون أن يقال لكم يسألكم

بالوجه الذى تسألون الله به أن تسألوا السيد المقدم فلانا ويحليه بما يصلح له أن يقبله رفيقا فى الفتوة ، فحينئذ يقوم الجماعة ويقول النقيب للمطلوب : أيها السيد فلان ان هؤلاء السادة يسألونك ان تقبل فلانا رفيقا فى الفتوة فتقول : أسمع والطاعة لله ولرسوله ثم للجماعة ، ثم يتدانى الالزام والنقيب ويشد وسطه بما يشد به ويلبسه السراويل جالسا ويشده قائما ، ويتولى الكبير شد العقد بيده أو بوكيله ، ثم يقول النقيب هذا عهد الله بينكما على التمسك بشروط الفتوة ثم يشرب . وصفة الشرب أن يبدأ بزعيم ويختم بمقدم ، وأن يكون القدح فيه الماء والملح ، ويكره الشرب فى كأس يشرب فى مثله : الحمر ، ويستحب أن يتناول القدح بيمينه ثم يقول السلام عليكم أيها الفتيان ، أو السلام عليكم وعلى جميع الفتيان ويرد النقيب السلام لانه لسان الجماعة ، ويكره أن يقول عليك السلام ، لان ذلك منهى عنه ، قال عليه السلام : هي تحية الموتى ، ثم يقول : وقائى لله رب العالمين ، واتباعى لمحمد خاتم المرسلين وأخص بشربى هذا فلانا ، أو يقول وقائى وخدمتى لله وأخص بشربى هذا فلانا (تنبيه) : لا يقول وقائى لله وخدمتى لفلان ، ولا وقائى وخدمتى لله ولفلان ، ثم يذكر فلانا بما يشتهر به وينتسب الى أن يقف عند أصل مشهور ، كأمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى يعرف مزايا الاحزاب ، فان اقتصر على الكبير وكان مشهورا أو عنصر النسبة الى أصلها جاز ثم يشرب ويتناول النقيب القدح ، ويحسن من النقيب أن يخدم كل شخص عقيب شربه ، ولا بأس بما قد اعتاده بعض الناس من قولهم : مقيم غير راحل وما شربى الا

لجليل وما وقائي الا مع كل جيد ونحو ذلك (تنبيه) : ولا يحسن بالمقدمين وأفاضل الجماعة أن يقولوا : وشربى لشرب الجماعة ، لأن هذه لفظة اتباع وتقليد ، فيحسن أن تصدر من عوام الجماعة واتباعهم ، ويكون الدوران على اليمين ، ولا يعير المفضل ولا بأس بأن يحضر معهم بكر ليطلع على محاسن الفتيان وربما دخل الفتوة في زمرتهم ، وإن شاء انعزل عند الشرب . وإن ساء وقف معهم ، وإذا وصل القدح إليه عبر . ويحسن من النقيب أن يقف عنده ويعرض عليه الشرب ، ولا حرج عليه أن يندول ويشرب موافقة للفتيان ، ولا غرو عنه أن خص بشربه طالبه فلان ويسمى قبل الشرب ويحمد عقبه ، فإذا انتهى الشرب جلسوا ومنهم من اعتاد زيادة أو نقصانا ، وتقديما أو تأخيرا على مذكراته ولا بأس به . ويكره أن يتعرض لها بوجب خجلا أو انه نه لنطلب من طول قيده والذس قعود ، ومن شد الكبير له جالس قل عنه السلام : ليس للمؤمن أن يذل نفسه إلا أن يتغوت ، فلا يعد ذلك عوانا ، ويحسن أن يبرسه النقيب بخطبة مطقة يدعو فيه للامم عنه السلام ، وولاية المسلمين ، ويرحم على أسنن الماضي ويخص بالثناء المؤمنين الضارين ، ويذكر فيها السريغيب على فعل الاحسان ، وطعه الرحمن ، واجتذب النصيحتين ، ومندرة الاخوان ، ويفرد خطبه الماء والتمتع ويخصب بذكر الفتوة . ونحن نذكر خطبة مختصرة في هذا المعنى فيقول :

الحمد لله الواحد المنان ، الملك الدين ، الذي خلق الانسان وعنه النبيين ، وغضبه بالتطيق على سائر الحيوان . أحسنه في السر والاعلان ، وأسجد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له

شهادة تنجى من النيران ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله
المخصوص بتنزيل القرآن فصلى الله عليه وعلى آله صلاة دائمة
على ممر الزمان ، وعلى صديقه وفاروقه وزوج ابنته وأبى سيوطه
الذين سبقونا بالإيمان ، وعلى بقية آله وأصحابه والتابعين لهم
بإحسان مازمق طرف ونطق لسان « وهو الذى خلق من الماء
بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » .. « ان الله
يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء
والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون » .. « يا أيها الذين
آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة
فنصبحوا على ما فعلتم نادمين » .. « ان الذين يحبون أن تشيع
الفاحشه فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم » .. « يا أيها الذين
آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء
من نساء عسى أن يكن خيرا منهن » .. « يا أيها الذين آمنوا
اجتنبوا كسيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا
ولا يغتب بعضكم بعضا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا
فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم » .. « ان أكرمكم
عند الله أتقاكم » .. « يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة
نصوح » .. « واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » .. «
فاتقوا الله ما استطعتم » .. « فاتقوا النار التى وقودها
النفس والحجارة » .. « اتقوا ربكم وأخشوا يوما لا يجزى
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا » .. « من
جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » .. « ومن يعمل من الصالحات
من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلننجينه حياة طيبة » .. « ومن
عفا وأصلح فأجره على الله » .. « والسكاطين الغيط والعاقين
عن الناس والله يحب المحسنين » .. « انتم المؤمنون اخوة

فاصلحوا بين أخويكم » .. » وقولوا للناس حسنا » ..
« ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتهم فلها » .. » واذا
حييتهم بتحية فحيوا بأحسن منها » .. » هل جزاء الاحسان
الا الاحسان » .. » ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم
خصاصة » .. » ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها
واذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل » .. » ومن يعمل
سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل
بهتانا وإثما مبينا » .. » يوم تجد كل نفس ما عملت من خير
محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا
ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد » .. » ان الله وملائكته
يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا
تسليما » وقال عليه السلام : كلكم راع وكلكم مسئول عن
رعيته ، وقال : المؤمن يوم القيامة تحت ظل صدقته وأمتي
كالبنين يشد بعضه بعضا ، والمؤمن أخو المؤمن ان جاع أطعمه ،
وان عرى كساه ، وارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء
إنما يرحمكم الله من عبادة الرحماء ، ومن ستر مسلما في الدنيا
ستره الله في الآخرة ، ومن قضى مؤمنا حاجة قضاه الله مائة
حاجة أعلاها المغفرة ، ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا
فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ولا يزال الله في عون
العبد ما دُم العبد في عون أخيه ، وقال : اياكم والنظر ، فانه
أكذب الحديث ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا ولا تنافسوا وكونوا عباد الله اخوانا ، اعملوا
وحمكم الله أن الفتوة من صفات الدين وطريق الفائزين ، من

تمسك بها كانت الجنة مأواه ، ومن خالفها كانت النار مثواه ،
وان لها أصلا فى الشريعة وهى الى كل خير ذريعة ، وأن منشئها
ابراهيم خليل الرحمن ، ومثلها جرى فى بيعة الرضوان
وما عاهد الله عليه السادة البررة الذين بايعوا تحت الشجرة ،
وان نبينا عليه السلام سيد الفتیان وأشرف الثقلين ومبدأ فتوة
على عليه السلام الذى سمع هاتفا فى حقه لا سيف الا
ذو الفقار ، ولا فتى الا على واليه ترجع الانساب ، ومنه تفرعت
الاحزاب وهلم جرا ، حتى انتهت الفتوة وشرفت بسيدنا
ومولانا الامام أبى العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين
صلوات الله عليه ، وكان أحق بها وأهلها فأحيا ما أتدثر من
آثارها ، ورفع ما انخفض من منارها ، عمر الله بعده البلاد ،
وأسعد بهديه العباد ، وأسعد بعنايته وأسبغ علينا ظل دولته .
اللهم شيد قواعد الاسلام ، وشد أزر الانام بدوام دولته ،
وبركت همته ، اللهم واخص بأمنك ومنك واحرس بعينك
وعونك جملة خواصه ونوابه اللائذين بجنابه بمحمد وآله .
اللهم احفظ السادة الحاضرين ، والفتیان المنتخبين ، خصوصا
المشايخ القدامى : الشيخ المقدم الامين جمال الرفقة والفتیان ،
اللهم أصلح ولاية المسلمين ، ووفق علماءهم المهدين ، وانصر
جيوش المجاهدين ، واقض حوائج المحتاجين ، وعاف مرضى
المسلمين ، وقرج كرب الهمومين ، وارحم أموات المسلمين ،
واغفر لنا أجمعين يا أرحم الراحمين . واعلموا رحمكم الله أنه
قد صح عند العلماء والائمة الفضلاء أن الفتوة منزلة عالية ،
وفضيلة طائلة لا يتأهلها الا الاشراف والجياد والخواص من
العباد ، ولا تصلح الا لتنظيف من الادناس علامة بين الناس ،

ومن شرطها اجتناب الكبائر ، والتحفظ من الصغائر ،
والمحافظة على الفرائض والواجبات وامتنال أوامر الشرع
بالطاعات ، والتقرب الى الله بأنواع الصلوات .. ومما أدرك من
الحكمة الاولى ألا تستحسن لنفسك ما تستقبح لغيرك .

وفي التوبة

يا بن آدم لو سمعت وصفك من غيرك ولم تعلم من الموصوف
لسارعت الى مقتله ، فإذا ظهرت نفسك مما تستقبحه لغيرك ،
فحينئذ تكون من سادات الفتيان وأولياء الرحمن ، وتعد من
الصالحين الفائزين « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتساء
ذی القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون » .. ونحن نستغفر الله ونتوب اليه ومنه التوفيق
والعمل عليه .

واعلموا رحمكم الله أن هذا فلان يسألكم أن تسألوا فلانا
أن يقبله رفيقا في الفتوة ، وقد سبق تمام ذلك وشرحه .

تنبيه : والمستحب قبل أن ينفضوا أن يدعوا المشار اليه
والنقيب فيقول « ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا
وقوفنا مع الابرار ، ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا
يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد » اللهم صلى على سيدنا محمد
وعلى آل محمد ولا تفرق جمعنا هبة الا بذنب مغفور ، وعمل
مبرور ، وتجازة لن تبور ، ومنقلب الى سرور ، ووفقنا في جميع
الامور يا سميع يا غفور يا أرحم الراحمين .

الفصل الثامن

فى معانى حكمة الشد والتكميل والماء والملح

اما حكمة الشد فانه قوة واشتداد وتعصيب . قال تعالى « واشدد به أزرى » وهو أيضا عهد وعقد ، قال تعالى « أوفوا بالعقود »

والحكمة فى السراويل . . أولا : أنها ساتر العورة ، وهى ما بين السرة والركبة ، الثنى : أن أقوى الشهوات شهوة الفرج . . فاذا ستر مما عوهد به استحيا من كشفه فى معصية الله ، وفيه أيضا إشارة الى أن الفتوة ستر الفواحش وإلكف عنها .

وأما الحكمة فى الماء فمن عشرة أوجه :

أحدها : أن الماء أحد العناصر الاربعة التى يتكون منها ما تحت فلك القمر من النباتات والحيوانات والمعادن ، فكان أصلا فى أنه أصل خلقة الآدمى . . قال تعالى « خلق من ماء دافق » . . فسماء ماء وإن اختلف صفة .

الثانى : به يعيش ويحيا كل شئ . . قال تعالى « وجعلنا من الماء كل شئ حى » .

الثالث : أن شربه مادة بقاء الآدمى .

الرابع : أنه يظهر من الاحداث والانجاس ويزيل الدن والافساخ . . قال تعالى « وأنزلنا من السماء ماء طهورا » وقال تعالى « ليطهركم به »

الخامس : سبق ذكره وهو أنه يطهر في الآخرة قلوب المؤمنين .. قال تعالى «وسقاهم ربهم شرابا طهورا» فهو شراب أهل الدنيا والآخرة .

السادس : أن الماء يفتقر اليه في أكثر الحرف والمهن والاطعمة والحاجات ، فناسب أن يذكر به لشرفه .

السابع : أن الماء سائغ لطيبته ، سيال يغوص في أعماق البدن ومسامه ، وهو سبيل العهد الى جميع الجوارح .

الثامن : أن الماء هو أعم المائعات وجودا وأسهلها تناولا ، ويتكرر شربه واستعماله فيذكر بالعهد في كل حين .

التاسع : أن الماء يطفىء نار الدنيا والآخرة ، وطفئه لنار الآخرة من وجهين : أحدهما أن اسقاء الماء في الدنيا يطفىء نار جهنم .. قال عليه السلام : الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء ، ومعناه اسقوا الماء عن مرضاكم ، الوجه الثاني أن دمة العين تطفىء نار جهنم ، والله لا يعذب عينا بكنت من خشية الله .

وأما الحكمة في الملح فمن خمسة أوجه :

أحدها : أن الملح يصلح كل فاسد .

الثاني : أنه يستعمل في أكثر الاغذية والاطعمة فتذكر بالعهد .

الثالث : قال الحكماء انه ينفذ الاغذية الى جميع الاعضاء فينفذ العهد الى جميع الجوارح .

الرابع : أن الله جعله عيونا ومعادن في الارض لاجل منفعته
ومسبب الحاجة اليه فناسب استعماله لشرفه ، وفي العرف
يقال : فلان يحفظ الملح ، وفلان ضيع الملح .

الخامس : أنه من جملة السبعة الحواظ ، فهو يحفظ ما فيه
من التغيرات ، والحكمة في شرب الماء والملح جميعا . . ان المناء
عذب والملوحة ضد العذوبة ، فكانت فيه اشارة الى أن الفتى
ينبغي أن يصبر على البأساء والضراء ، وأن يحمد الله على البلاء
ويشكره على النعماء وأن يحمد الرفيق في كل رحب وضيق .

الفصل التاسع

فى الخصال التى يندب الفتى لفعلاها
والتى يؤمر باجتنابها ، وهى مائتا خصلة

يندب الفتى لمعرفة الله وتوحيده ، والايمان به وملائكته
وكتبه ورسله ، وما جاءوا به ، ويخلص فى عقيدته وعبادته ،
ويحسن فى ضميره وطويته ، ويحمد فى سيرته وطريقته ،
ويراقب الله فى سره وجهره وعلايته ، ويحافظ على فرائض
دينه ، وواجباته وفضائله وملزوماته ، ينطق بالصواب ، ويعد
من اولى الالباب ، يصل الارحام ويصلى والناس نيام ، يفى
بالذمام ، ويزعد فى الحرام ، يصنع المعروف ، ويحسن قرى
الضيوف ، وينشر الاحسان ، ويعين الاخوان ، يبار والديه
ويحسن الى من اساء اليه ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ،
وان منع صبر ، وان اعطى شكر ، نظيف الحال محمود الفعال ،
صادق المقال ، ناظر فى المال ، تال لكتاب الله ، معمر
لمساجد الله ، يطيل الصلاة ويكثر الصلوات ، يعرف بالقربات
والابتغال بالدعوات ، غاض لبصره ، حافظ لفرجه ، حسن
الحلق ، بطلق الوجه ، قاضى الحاجة ، سجيل التراس ، عزيز
المروة ، سخي النفس ، بذل الكف ، رحيم القلب ، حسن
النظر ، صابر فى المكروه ، قوى الجنان عند لقاء الاقرباء ،
حامد على البلاء شاكرك على النعماء ، راض بالقضاء ، محاسب
لنفسه محارب لشيطانه ، مطرح لبواه مطيع مولاه ، قيل
المؤونة ، كثير المعونة ، زاهد فى دنياه عدل لآخرائه ، ناظر
فى عاقبته خوفه من الله ، يعدل رجاء المؤاسدة والايشار ، دأبه

وعادته وصدقه في السر ، ديدنه وخلته ، يغيث المستغيث
ويؤمن المستجير ، يوقر الكبير ويحترم النظير ، ويرحم اليتيم
والصغير ، يعطي السائل ويستقل له الطائل ، يعين الملهوف
وبالمسكين رؤوف ، يخاف من العار ويحسن الى الجار وان جار ،
يفشي السلام حلو الكلام ، لله خاشع وللناس متواضع ، حسن
الآداب بين الاصحاب ، ان دعوته اجاب وان استعطفته انا .
يقول الحق وان كان مرا ، ويصدق في نفسه وان كان ضرا ، يختار
لاخيه ما يختار لنفسه ، ويومه خير من أمسه ، رطب اللسان
بالذكر في مسائه وصباحه ، مستيقظ في غدوه ورواحه ، كاتم
لامره وسره ، راض بحلو القضاء ومره ، كثير البكاء في خلواته ،
خوفا من ذنوبه وسيئاته ، طويل الفكرة حاذق التجربة ، كثير
التحيرة ، عزيز العبرة ، قليل الامنية ذاكر للمنية ، عارف بالاشياء
على معنى عليه ، نضر البه ويسال عما أشكل عليه ، ويتعلم
من العلم ويندب اليه ، وعو ثقة لين ، بر رحيم ، كريم حلیم
وفى تقي وزع ، عفيف ألوف مألوف ، عيني لين ، كيس ذكي ،
فطن منيب ، فنوع حمول ، منصف عدل ، محسن ، حوى
كل المعاني والمعلی ومن بين النورى حاز الكمال .

والما الحاصل النى يؤمر بدجنات . . . فانه ينجب الكبائر ،
ولا يصبر على الصغائر ، ولا يكون كذاب ولا مغتاب ، ولا نجاما
ولا نورا ، ولا سعييا ولا مسيرزا ، ولا متعيق ولا متشدقا ،
ولا مهذرا ولا حمزا ولا غمزا ولا متحسسا ولا متباعا
لتخير ، ولا معندي ولا أئيم ، ولا عدلا ولا زليما ، ولا خواصا
ولا سريرا ، ولا مستنبا ولا مسرف ولا أرعن ، ولا متفاحشا
ولا متختلا ولا مختالا ولا حسانا ولا عيبا ولا بطرا ولا أشرا

ولا مرفحا ولا متكبرا ، ولا مسيئا ولا خبا ولا لثيما ، ولا أحمق
ولا سبارقا ولا فاسقا ولا منافقا ، ولا جسودا ولا حقوقا ،
ولا خائنا ولا ظالما ولا جائرا ، ولا جاهلا ولا غافلا ولا غاشا
ولا مدلسا ولا متمسخرًا ، ولا زانيا ، ولا مدمن خمر ، ولا لاعبا
بمغلي ولا بقمار ، ولا يتبع العورات ، ولا يؤاخذ بالهفوات ،
ولا يفضح الحرم ، ولا يخفر النعم ، ولا يهتك الستر ولا يبيع
السر ، ولا يمنع رافده ولا يخيب قاصده ، ولا عبد بطنه
وثوبه وفرجه ، ولا عبد الدرهم والدينار ، ولا مشاحن الجزر
بل سالك طريق المتقين ، ومحبة الفائزين ، فمن كان على
هذه الطريقة فهو الفتى في الحقيقة .

الفصل العاشر

فى حكايات الفتيان المتقنين وما كانوا عليه
من الكرم والمروءة ومقالات الجهال
من المتأخرين وما ابتدعوه فى الفتوة

الحكاية الاولى

أما حكايات الاجواد عن نوح الفتى الدنىء أنه أتاه قوم من
فتيان أرض السعدى زائرين له فقال نوح لغلامه : قدم السفرة
فلم يقدمها حتى أعدد عليه القول ثلاث مرات ، فقال بعضهم
لبعض : ليس هذا من عادة الفتيان ، فلما قدم السفرة قال
نوح للجماعة : تسدتكم الله إلا ما أخبرتمونى ماخطر لكم
فى معنى الغلام وتأخيرہ ، فأخبروه ، فقال نوح : يا غلام لم
تأخرت فى تقديم السفرة ، فقال : يا مولاي كان عليها نملة
فلم أر من الفتوة ازعاجها لانها أيضا ضيف ولم أر من الادب
تقديم السفرة وعنيها النملة ، فلما صعدت قدمت السفرة ،
فهل الجماعة : أحسنت يا غلام ، وقبلوا رأسه ، فقال نوح :
الفتى « جوامرد » فأنجيم من الجود والواء من الوفاء والائف من
الامانة واليم من المروءة والراء من الرحمة والبال من الدين ،
ومن اجتمعت فيه هذه الحُصُل فبىو الفتى فى الحقيقة ، ومن
لم توجد فيه فليس بفتى .

الحكاية الثانية

حكى أن رجلا كان زائما بمدينة ، فانتبه فطن أنه ذهب
بهميانہ فرأى جعفر الصادق عليه السلام قائما يصلى
فمضى به ، فقال له : مدسأئك ؟ فقال حميدنى سرق وليس
عندى سواك ، فقال له جعفر : كم كان فى حميانك ، فقال :

الف دينار ، فقال له جعفر الصادق : اذهب معي الى البيت حتى اعطيك ألف دينار ، فانتطلق معه فأعطاه ألف دينار خيرا من ذهبه ، فلما جاء الرجل الى رفيقته وأخبرهم بقصته ، قالوا هميانك عندنا ، فسأل الرجل عن جعفر الصادق فأخبروه بأنه ابن بنت رسول الله ، فجاء الرجل اليه ووقع يقبل قدميه ويعتذر اليه ورد الالف دينار عليه ، فلم يقبلها وقال : ما أخرجناه لله فلا يرجع الينا .

فتى يشتري حسن الثناء بماله

ويعلم أن الدائرات تدور

الحكاية الثالثة

يحكى أن رجلا من الفتيان أضاف بعض الغرباء ، فلما فرغوا من الطعام جاءت جارية تصب الماء على أيديهم ، فقال الغريب : سبح في الفتوة أن تصب امرأة الماء على أيدي الرجل ، فقال : يا فتى : انى منذ سنين فى هذا المنزل أحضر فيه كل يوم ولم أعلم هل الذى يصب الماء على أيدينا امرأة أو رجل : غضضت من الابصار كى لا تقودنا

فى طمع فيه على الحر مدخل

مسألة : حمل الى المعتضد بالله أمير المؤمنين رحمة الله عليه مبعوضة أسير فأمر بقنبيهم ، فقال غلام منهم : يا أمير المؤمنين : بحرمة معبودك إلا أمرت أن نسقى الماء قبل أن نقتل ، فأمر فسمقوا ، فسم سربوا فل ذلك الغلام : يا أمير المؤمنين الآن قد صرنا أضيافا وليس من الروعة قتل الأضياف ، فأمر بتخليتهم فأنطلقوا .

الحكاية الرابعة

أن بعض الفتيان تزوج امرأة فخطب بزوجيتها جدوى قبل أن

تزف عليه ، فحزنت وحزن أهلها وقلن : ان الجدرى قد قبح وجهها وخفن ان يردها الزوج ، فلما سمع الفتى اظهر أنه قد عفى فزال عنهم الحزن ، وزفت اليه وبقيت معه سنين ، فلما ماتت اظهر أنه يبصر ، ولم يكن أعمى ، لكنه تعامى لكيلا ينكسر قلب الزوجة ، وذلك من تعام المروءة .

الحكاية الخامسة

يحكى أن بعض الفتيان اشترى داراً باثنى عشر ألف درهم وانتقل اليها ، فلما كان الليل سمع صوت بكاء شديد ، فقال : يا غلام اذهب فانظر الى الباكي ، وعلى ما يبكي ، فجاء الغلام فنظر فرأى جماعه تبكي ، فسألهم فأخبروه بأنهم أصحاب الدار التي اشترىها سيده ، وأنهم حين فرقوا وطنهم استوحشوا ، فجاء الغلام وأخبر سيده بذلك ، فقال : يا غلام انطق اليهم وأخبرهم أن الدار في صباح غد تسم اليهم والاند ألف درهم لهم ، فذهب الغلام وأخبرهم بذلك فانقلب حزنهم فرحاً .

الحكاية السادسة

أن بعض الاجواد جاءه فاصدا ينمى منه شيئاً فلم يجد ما يعطيه ، فقال له : يا هذا احضرني عند انقضى وادع على عشرة آلاف درهم فاني اعسرف لك بها فحبسني عليها فان أهلى لا يخوننى أبيت فى الحبس ففعل الرجل ذلك ، فسمع أهله فحضروا وأدوا عنه الى الرجل عشرة آلاف درهم وأخرجوا صاحبهم فقال :

يعاتبني فى الدين قومى وانم ديونى من أشياء تكسبهم حمد

الحكاية السابعة

أن بعض الشعراء قصد بعض الفتيان يلتمس منه شيئا ، فلم يعط له شيئا فلما كان آخر ذلك اليوم كتب اليه يقول :
إذا كان الكريم قليل مال ولم يعذر تعلل بالحجاب

الحكاية الثامنة

أن بعضهم جاء الى معن الأمير ليمدحه ، فوجده في البستان ، ولم يتمكن من الدخول عليه فكتب على لوح :
ايا جود معن ناج معنا بحاجتي فمالى الى معن سواك شفيع
وألقى اللوح فى ساقية تدخل الى البستان ، فلما رأى معن اللوح أخذه وقراه وأمر باحضار الرجل ، فأحضر فقال له : أنت الفائل هذا البيت ، فقال نعم ، فأمر له بألف دينار ودرّة بألف ، فأعطى . فلما كان اليوم الثانى أحضر الرجل وأعطاه ألف دينار ودرّة بألف وظل كذلك عشرة أيام ، فقال الوزير للشاعر يا هذا : الرأى أن ترتحل بما معك قبل أن يستكثر الأمير ما أعطاك ويسنرده ، فارتحل الرجل . فلما كان اليوم الحادى عشر طلبه الأمير فأخبروه انه قد ارتحل ، فقال والله لو أقام لأعطيته كل يوم ما كنت أعطيه الى أن ينقل خزائنى .

الحكاية التاسعة

يحكى أن بعض الفتيان قال لفلانه : ليس من المروءة أن تتصدق على من تعرفه ، خذ هذه المائة دينار وانطلق بها الى السوق فأول من ترى من الصعاليك تعطيه اياها فذهب الغلام بالمائة دينار الى السوق فوجد شيخا يحلق رأسه ، فتقدم الغلام

الى الشيخ وناولته المائة دينار ، فقال الشيخ : اعطها للمزين ،
فانى نويت اى شىء فتح الله به أدفعه للمزين ، فدفعها الغلام
الى المزين فابى أخذها ، وقال انى نويت أن أحلق لك الله ، فلا
أبيع أجرى من الله بهذه المائة دينار ، فأخذها الغلام وانصرف
ولم يقبلها أحد منهما .

الحكاية العاشرة

يحكى أن رجلا من الفتیان قال لزوجته : أريد أن أصنع
وليمة للفتیان ، فقالت له زوجته : لن نقدر على وليمة للفتیان .
فقال : ولم ؟ قالت : ان فعلت فاذبح الابل والبقر والغنم
والحمير . فقال الرجل : أما الابل والبقر والغنم فمعلوم ، فما
بالحمير ؟ فقالت : يقبح بالفتیان أن تكون لهم وليمة وليس
فيها حظ لكلا المخلتين .

الحكاية الحادية عشرة

يحكى عن المأمون رحمة الله عليه أنه وجد فى نفسه على عدو
له فأمر بطلبه ليهلكه ، فلما أحضر بين يديه مكبلا بالحديد
نهض المأمون وصلى ركعتين ثم قال لذلك الرجل : أتدرى لماذا
صليت ؟ فقال : لأن الله ظفرك بى . فقال : لا ، بل صليت
شكرا حين ألهمنى الله العفو عنك . وأمر باطلاقه وإكرامه .

الحكاية الثانية عشرة

يحكى أن بعضهم قصد صديقا له من الفتیان وكتب حاجته
فى رقعة ووضعها فى جيبه ، فلما جلس معه يحادثه استحيا من
عرض قصته عليه وأخذ الرقاد فنفس ، فأنس الفتى من حال
الصديق أنه جاء ليسترفد منه فوضع فى جيبه خرقة فيها

خمسون دينارا وأرسل الى بيته الكسوة وحوائج البيت ، فلما استيقظ الرجل انصرف وقد منعه الحيالا من عرض قصته على الفتى ، فجاء الى البيت فوجد فيه جميع ما يحتاج اليه ، ووجد الذهب فى جيبه فانشد :

لى صديق ما مسنى عدم
مذ وقعت عينه على عدم
اعطى وأغنى ولم يكلفنى
تقبيل كف له ولا قدم
قام بأمرى لما قعدت به
ونمت عن حاجتى ولم ينم
يرضى رضاي ويتقى غضبى
ويمنع الشمس أن ترى حرجى

الحكاية الثالثة عشرة

يحكى عن حذيفة العدوى أنه قال : انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عم لى ومعى شئ فيه ماء فقلت : ان وجدت به رمقا سقيته ، وكان فى ذلك العام عدم الحاج الماء وعملك أكثر الناس من شدة العطش ، فوجد ابن عمه قد أشرف على التلف فهم أن يسقيه فتأوه شاب فى جنبه من شدة العطش ، فقال الرجل لابن عمه أن اسق هذا الشاب فإذا هو عثم بن العاص ، قال : فتقدمت الى الشاب وقلت له : اشرب فأشار الى شيخ بجواره وقال اسق هذا الشيخ ، فتقدمت الى الشيخ فقال : ارجع الى ابن عمك فإنه والله أشد حاجة منا ، قال : فرجع الى ابن عمه فوجده قد قضى نحبه ، قال : فجئت الى الشاب فوجدته

فد مات فتقدمت الى الشيخ فقال : ارجع قال : فتقدمت الى الشيخ فوجدته قد احتضر فأثر كل واحد منهم صاحبه ، ومات الكل ولم يشربوا (كذا) .

الحكاية الرابعة عشرة

يحكى عن الأصمعى أنه قال : دخلت البادية فبينما أنا أسير فى ليلة مظلمة باردة وإذا بخيمة فيها فتى وعلى رأسه غلام والفتى ينشد :

أوفد فان الريح ليلى قر
والريح فى ذا الليل ريح صر

عسى يرى قارى من يمر

ان جلبت ضيفا فانت حر

قال الأصمعى : فتقدمت الى الخيمة فسلمت فرد على السلام ، وقال : ادخل يا مبارك عينا وعلى رفيقنا . فدخلت فاذا أنا بفتى له أثر منه قط فى حسن وجهه وكمال عقله ، فأكرمنى غاية الاكرام ، ومكنت عنده رزقه أيام فى كل يوم يزيدنى اكراما واحتراما ، وفى اليوم الذى سألنى عن حاجتى فأخبرته أن على بالبصرة دويقات فاحضر جميع ما به من المواشى ، وقال : يا هذا لا أعبر ببيع ما عديت من الدويقات وهذا جميع ما أملك وقد شاطرك اية فتبين العذر حيب له أفضنك على نفسى .

الحكاية الخامسة عشرة

يحكى أنه كان لأمير المؤمنين على عليه السلام جارية تدخل وتخرج فى الحوائج ، وكان له شرب ينظر الى الجارية ويقول لها كلما دخلت وخرجت : أنا والله أحبك . فلم طال ذلك عليها

أخبرت أمير المؤمنين عليه السلام فقال لها : اذا قال لك ذلك فقولى له وأنا أيضا أحبك . ففعلت الجارية ذلك ، فقال لها الشاب : فاصبرى حتى يوفنا أجورنا من يوفى الصابرين أجرهم بغير حساب ، واصبرى حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين فأعلمت الجارية أمير المؤمنين بقوله فدعا به وقال له : يا هذا قد حكم الله بينكما ووهب له الجارية .

الحكاية السادسة عشرة

يحكى أن عبد الله بن عبد الرحمن - وكان من أكبر عباد مكة - سمع صوت سلامة المعنية فوقف يسمع غناها ، فرآه سيدها فسأله أن يدخل فأبى فلم يزل به حتى سمح وقال لسيدها : اقعدنى موضعا لا أراها ولا ترانى ، ففعل ، ثم قال له سيدها : ائذن لى أن أنقلها اليك فأبى ، فلم يزل به حتى سمح فنقلها اليه ، فلم يزل يسمع غناها فقالت له الجارية : انى والله أحبك . فقال لها : وأنا والله أحبك كذلك ، فقالت : وأحب أن أضمك لى وتضمنى اليك . فقال : وأنا والله كذلك . فقالت : فما يمنعك فإن الموضع نخل . فقال : انى سمعت الله يقول : الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ، وأنا أكره أن يكون بينى وبينك خلة تؤول بنا لى العداوة يوم القيامة ، فقالت : أفتبأس من رحمة الله ان نحن تبنا اليه ؟ فقال : لا ، ولكن لا آمن أن أوجأ بالعذاب . ونبض وعينه تذرقان تندمع ، وعاد لى ما كن عليه من العبدية وصدر الندى يسمونى وسلامة النفس ، وفى هذا المعنى هذا النظم لبعضهم :

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني
منه الحياء وخوف الله والحذر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم
وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب ، لا أتيان معصية
لا خير في لذة من بعدها سقر

الحكاية السابعة عشرة

يحكى عن عبد الملك بن مروان أنه وجد على بعض عماله
فقيده وحبسه في داره ، فأشرفت عليه جارية لعبد الملك فنظر
إليها فأنشأت تقول :

أيها الرامي بالطرف وفي الطرف الحتوف
ان ترد وصلا فقد ممكنك الظبي الألوف
فأجابها :

ان ترينى زانى العينين فالفرج عفيف
ليس الا انظر الفاتر والسعى الظريف
فأجابته :

قد أردت على أن تعشق ظييا لطيفا
فتأيت فلا زمت تقيديك حليفا
فأجابها :

ما تأيت لأنى كنت لنظي عيوبا
غير أنى خفت زينا كان بى برا رحىما ورموبا
فبلغ ذلك عبد الملك فزوجها به وأطلق قياده .

الحكاية الثامنة عشرة

يحكى أن ابراهيم عليه السلام استضاف مجوسيا ، فقال ابراهيم : اضيفك بشرط أن تسلم . فأبى المجوسى وانصرف ، فأوحى الله تعالى الى ابراهيم : يا ابراهيم ، لم لا تضيف المجوسى ونحن نطعمه منذ سبعين سنة وهو على كفره فما عليك لو اضفته ؟ فذهب ابراهيم خلف المجوسى وأضافه ، فقال له المجوسى : ما السبب فى أنك أبيت أن تضيفنى أولا ثم دعوتنى ثانيا ؟ فذكر له ابراهيم أن الحق سبحانه وتعالى عاتبه فى حقه ، فقال المجوسى : هكذا يعاملنى ربك ، وأسلم على يد ابراهيم .

الحكاية التاسعة عشرة

يحكى أن بعض الفتيان كان له غلام فطلبه السنطان منه ، وكان قد استجار الغلام بالفتى ، فلم يسلمه فضرب ألف سوط على أن يسلم الغلام ، فلم يفعل ، فاتفق أن الرجل فى تلك الليلة احتلم فى الحبس ، وكانت ليلة كاد يقتل فيها البرد وأوشك أن يجمد فيها الخمر ويوقد فيها الجمر ، فاستيقظ الرجل وطلب الماء ليغتسل فوجده قد جمد فكسر الجليد واغتسل به ، فقيل له : لقد خاطرت بنفسك . فقال : انى استحييت من الله تعالى : أصبر على ألف سوط لأجل مخلوق ولا أصبر على برد الماء لأجل الخالق .

الحكاية العشرون

عن ابراهيم بن آدم أنه كن فى سفر ومعه ثلاثة نفر فدخلوا مسجدا ليئوا به تلك الليلة اذ كانت ليلة شديدة البرد ، ولم يكن للمسجد باب فرأى ابراهيم أصحابه يشكون البرد من الهواء الداخلى غنبيهم من باب المسجد فقام بباب المسجد مقام الباب طول ليلته ليرد عنهم البرد .

الحكاية الحادية والعشرون

يحكى عن الحسن البصرى أنه رأى فى بعض الأيام غلاما نفيس الصورة فتعجب من حسن خلقته ، فعلم بذلك سيد الغلام وجاء به الى الحسن البصرى فقال له : هو موهوب منى لك يحب خدمتك ، فأبى الحسن قبوله ، فألزمه سيد الغلام فقبله ، ثم عزم الحسن البصرى على الا ينظر الى الغلام ، فبقى الغلام يخدم الحسن الى أن نبتت لحية الغلام ولم يشعر الحسن بذلك ، ففى بعض الايام قدم الغلام الطشت بين يدى الحسن وفيه ماء فنظر الحسن الى الماء فرأى فيه خيال لحية الغلام فقال : الحمد لله الذى نجانى من الافتتان بك . وفى هذا المعنى روى عن النبى عليه السلام أنه وفد عليه قوم من أرض السعدان وفيهم شاب أمرد ، فجلس بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فأمر عليه السلام أن يجلس الصبى وراءه دون الجماعة ، فقيل له : يا رسول الله : أنت تخاف من النظر ؟ فقال : أو لا أخاف مما فتن أخى داود . وقال بعضهم : ما عى الحكمة فى أن النبى عليه السلام أجلس الغلام وراءه ، وقد كان عليه السلام ينظر من ورائه كما ينظر من بين يديه ؟ فأجاب بعض العلماء بأن النظر من بين يديه مفرون بالشهوة والطبيعة وان كان عليه السلام معصوما والنظر من ورائه نظر كرامة ، والآفات لا تدخل من طريق الكرامة ثم انه فعل ذلك أيضا تأسيسا للتشريع ليستن به وفى هذا المعنى قول الشاعر :

ليس الجواد الذى يحمى مطيته

يوم انزال و نار الحرب تشتعل

لكن فتى غض طرفا أو ثنى بصرا

عن الحرام فذاك الفارس البطل

الحكاية الثانية والعشرون

يحكى عن عمر بن عبد العزيز أنه اجتاز في بعض الليالي بباب امرأة وهي تقول لبنتها : يا بنية اشوى اللبن ، فقالت لها : يا أماء ، أما سمعت نداء أمير المؤمنين بالأُمس وقد حرم على الناس أن يشوى اللبن وما كان لنا أن نطيعه ظاهرا ونعصيه باطنا . فلما سمع عمر بن عبد العزيز كلام الجارية علم بالباب فلما كان الصباح أرسل اليهم وزوج الجارية .

الحكاية الثالثة والعشرون

يحكى أنه وقع في بعض السنين حريق بمسجد بمصر ، وكان في جواره فندق النصارى ، فظن المسلمون أن النصارى أحرقوا المسجد ، فأحرقوا الحان وقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا الحان وكتب لهم رقاعا ونشرها عليهم ، وكان في بعضها القتل ، وفي بعضها القطع ، وفي بعضها الجلد ، وأمر كل واحد منهم أن يتناول رقعة ليفعل به ما فيها ، وكان فيهم رجل له والدة وقد خرج في رقعة القتل ، فقال له بعض الجماعة : أنت لك والدة ، وفي رقعتك القتل ، وأنا ليس لي والدة ، وقد خرج في رقعتي الجلد ، خذ رقعتي واعطني رقعتك لأفديك حتى لا تحزن أمك عليك . ففعل ذلك ، فمسمع السلطان بقصتها فأمر بإطلاق سراح الكل أكراما للمؤثر نفسه بالقتل

الحكاية الرابعة والعشرون

روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام في الايثار أن النبي عليه السلام جاءه ضيف ولم يجد عنده ما يكرمه به ، فقال عليه السلام : من يكرم ضيفي هذا ، وأضمن له على الله الجنة ؟ فقال علي عليه السلام : أنا يا رسول الله . فتلخذه وجاء به الى فاطمة عليها السلام ولم يكن عندهما سوى قرصتين قد هياتهما للافطار

فلما كان وقت المساء أصلحت الزاد ووضعت بين يدي الضيف
وعلى عليه السلام ثم جاءت الى المصباح كأنها تصلحه فأطفأته ،
فأخذ على عليه السلام يرفع يده ويضعها في الزاد يوهم الضيف
انه يطعم معه وهو لا يأكل شيئا ليكتفى الضيف ، فلما
استكفى الضيف أتى بالمصباح وبات على عليه السلام وفاطمة
عليها السلام طاويين على صومئهما ، فأنزل الله في حقهما :
« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وصح أيضا عن علي عليه السلام انه أثر بنفسه على فراش
النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الواقدي ، وذلك أن جماعة
من كبراء الجاعلية اجتمعوا وتشاوروا في قتل النبي عليه
السلام فاتفق رأيهم أن يجمعوا من كل قبيلة واحدا ليقتلوا
النبي عليه السلام ويفرقوا دمه في جميع القبائل ليعجز أهله
عن الأخذ بثأره ، فنزل جبريل عليه السلام وأخبر محمدا بذلك
وأنهم سيأتون في تلك الليلة وأمره أن يستخلف مكانه من
يؤثره بنفسه فقال علي عليه السلام : أنا يارسول الله أوثرك
بنفسي وأبيت على فراشك الليلة ، فلما كان الليل جاء القسم
يطلبون النبي عليه السلام ليقتلوه ، فلما رأوا عليا على فراش
النبي صلى الله عليه وسلم مكثوا يرقبون النبي عليه السلام
فأحضر الله عز وجل بين يديه جبريل وميكائيل وقال لهما : ان
جعلت عمر أحدكما أطول من عمر الآخر من الذي يؤثر صاحبه
بطول العمر ؟ فقال كل واحد منهما : انهي وسيدي ، ان كنت
قسمت لي بطول العمر فلا أوثر به أحدا ، فقال الله سبحانه
وتعالى لهما : ألا كنتما كعلي لحمد أثره بنفسه ونام على فراشه
اهبطا اليه فأحرساه الى ان أصبح . فجلس ميكائيل عند رجله
وجبريل عند رأسه ، وهو يقول : بخ بخ لك يا علي يباحي الله
بك ملائكته ، والجود بالنفس أقصى غية الجود .

وهذه حكايات الفتيان المتقدمين ، وصفات السلف الماضين ،
وأما مقالات الجهال من المتأخرين فنقتصر منها على ست مقالات
ابتدعوها في الفتوة .

البدعة الأولى

أنهم ظنوا بجهلهم أن أحكام الفتوة تخالف أحكام الشريعة
فقالوا : إذا ذكر بعض أهل الفتى بفاحشة فإنه يجب عليه
قناها ، ويقفون قدحه ويحملونه على هلاكها من غير أن يثبتوا
صحة ذلك ، وكم من بريئة قتلت ظلما بعقولهم وإذا لم يفعل
الفتى ذلك لم يشربوا معه وربما حكموا ببطلان فتوته ، وهذا
دأب أهل البادية والقرويين الذين أكثرهم كالأنعام ، بل هم
أضل ، وهذا مما لا يقتضيه عقل ولا يجوز شرع ، فإنه قل أن
يسلم الإنسان من وشاة السوء وتهم الأعداء . وكيف يحسن
أن يسمع ذلك وقد قال تعالى : « ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم »
وقال تعالى : « لولا جاءوا بأربعة شهود فإذا لم يأتوا بالشهداء
فأولئك عند الله هم الكاذبون » وقال : « ولا تقبنا لهم شهادة
أبدا » وقال : « وتحسبونه عينا وهو عند الله عظيم » ولو ثبت
ذلك ولئن ثبت إلا بالاقتران أربع مرات وبأربعة عدول شاهدوا
الفعل كمسعدة المني في المكحلة لم يجب على الفتى سوى
الحجر على أهله من الخروج والبروز ولا يقدح ذلك في فتوته .
قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . وعندهم ليس إلا
فيل المذكورة وذلك حرام وظلم عظيم بأجماع المسلمين .

البدعة الثانية

أنهم يتباعون ويتفخرون بقتل غلمان الشرطة وولاة المسلمين
والنابذيين عن الناس وما يقيم من ظلم بعضهم ويسمونهم

عوانية ومصالحة ، وأولئك هم الذين يصلحون بين الخصوم
ولذلك سموا مصالحة ويعينون ما يخرج عن الملة ، وتجدهم
يبشون على من يتعاطى عظامهم الامور من العيارة والتلصص على
أموال الناس والقتل بغير حق ويعدون المنكف عن ذلك جبانا
وبخيلا ، وهذه اخلاق الجاهلية من الحثالة العامية الذين لا يعبا
الله بهم .

البدعة الثالثة

أنهم يقصدون بالدخول فى الفتوة التعاضد والتناصر على
مقاصدهم المذمومة ، وأغراضهم الفاسدة ، من أخذ أموال الناس
والهجوم على حرمهم ونحو ذلك ، ويعدون المساعدة على ذلك من
جياد الفتيان ولقد كان الواجب زجر بعضهم لبعض عن ذلك
حسما لمادة الفساد ، واصلاحا للعباد ، ولكنهم يأبون ذلك
ويؤثرون الفساد . ولهذا تجدهم من بين الناس هم أصحاب
الفتن والخصومات ، وأهل الجيوش والمطمورات ، وأصحاب
اللطف والحانات وعليهم الشكايات وبهم التكلات ، ومنهم
المقول والمقطوع على أنواع الجنايات .

ولقد كان الأجدز بالفتيين أن يكونوا أهل المدارس والجوامع
وأصحاب الربط والصوامع ، وأهل العلم والعبادة ، والورع
والزهادة . والنوصية لنسادة السامعين والفتيين المخلصين أن
يكونوا من الذين قال الله فى حقهم : الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين صدقهم الله وأولئك هم أولوا
الألباب ، والنبيب يجب أن ينزه نفسه عن تلك المقلات ،
ويراعى ما بقى من الساعات ، ويحافظ على أوقات الصلوات ،
ويسابق إلى فعل الصلوات ، فإن العمر لحظات ، ويقال
فلان مات وينهى أن يعاد فيقول له هيئات ، فاعتنم أيها
اللبيب ما بقى من الأوقات فإن بقية عمر المؤمن لا قيمة له ،
ويستدرك فيه ما فات والحزم أن تجعل نظرك لا أخراك

فهو أهم من نظرك لدنياك ، فانها زائلة والاخرى باقية ،
والسعيد من استعد لما بين يديه واسلف صالحا يقدم عليه ،
فانه لا بد من الانتقال والمجازاة بالأعمال ، فطوبى لعبد سلك
بنفسه نهج السداد ، ومحجة الرشاد قبل هجوم المنون يوم لا
ينفع مال ولا بنون .

بادر شبابك أن يهرما

وصحة جسمك أن يسقما

وايام عمرك قبل المات

فما دهر من عاش ان سلما

وقدم فكل امرئ قادم

على بعض ما كان قد قدما

جعلنا الله واياكم من عباده المتقين ، وحشرنا مع عباده
المخلصين الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ، وهذا آخر ما رمنا
ذكره من صفات الفتوة والمروءة ، وقد أنجز بعون الله تعالى
والحمد لله رب العالمين علقه أفقر عباد الله وأحوجهم الى رحمته
النادم على عثراته المعترف بذنوبه وهفواته المقر بزلاته محمد بن
أيوب بن محمد في شهر ربيع الآخر سنة أربع وأربعين
وثمانمائة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

حكاية

روى أن المغيرة بن شعبة كان واليا على البصرة من قبل أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وأنه قذف بالزنا وشهد
بذلك أربعة أنفس فكتب الى أمير المؤمنين رضي الله عنه بذلك
فأمر أن يحضر المغيرة والشهود والمرأة ، فحضروا جميعا بين

بدى عمر رضى الله عنه فاجلس المغيرة بن شعبة والمرأة الى جانبه ، ودعا بالشهود فقال لأحدهم : بم تشهد على المغيرة ؟ فقال اشهد انه زنا بهذه المرأة ، فقال له : أنت رأيت بعينك الميل فى المكحلة ؟ فقال : نعم ، فقال أمير المؤمنين : ذهب ربك يا مغيرة . والثانى والثالث شهدا كذلك ، فقال : ذهب ثلاثة أرباعك يا مغيرة . فحضر الرابع ورفع المغيرة رأسه اليه وقال له : يا فلان ، اتق الله واذكر وقوفك بين يديه ، ولا تشهد الا بما رأت عينك . فقال : يا أمير المؤمنين رأيت هذه المرأة مستلقية على قفاها ورجلاها قائمتان كأنهما أذنى حمار ، وهو بارك بين فخذيهما ، ولا أعلم ما وراء ذلك . فأمر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه بالشهود الثلاثة فحدوا حد القاذف ، وسلم الشاهد الرابع وخلق سبيل المغيرة بن شعبة والمرأة وثبت فسق الشهود الثلاثة .

صدر فى ١٦ يولييه ١٩٥٩

فهرس الكتاب

صفحة

٣

المقدمة

٥

الفتوة - تقديم لمحقق الكتاب

٢٠

كتاب الفتوة : الشد والعهد

الفصل الاول : الفتوة لفظا وشرعا وما ورد فيها من

٢٣

الآيات والاخبار والآثار

الفصل الثاني : في حقيقة الفتوة وأصلها ومنتشئها

ومنزلتها من الشريعة والفرق بينها

وبين المروءة والاخوة والتصوف وشد

٢٦

الشفاف

الفصل الثالث : فيما قيل في صفة الفتوة والفتى من

٣٠

الرسوم والنوع

الفصل الرابع : شرائط الفتوة وما يعتبر فيها من القيود

٣٣

الصحيحة والمكملة

الفصل الخامس : فيمن تصح فتوته ومن لا تصح ، وفيما

٣٧

يبطل الفتوة الخ

الفصل السادس : في الالتاظ المصطلح على استعمالها بين

٤٦

الفتيان

الفصل السابع : في كيفية الفتى وصفة الطيبة والاجتماع

والندوة والخطبة والشد والتكميل

٦٣

والشرب

الفصل الثامن : في معاني حكمة الشد والتكميل والماء

٧١

والشح

الفصل التاسع : في النخصل التي يتدب الفتى لفعيل،

٧٤

والتي يؤمر باجتنابها

الفصل العاشر : في حكايات الفتيان والمتقدمين وما كانوا

٧٧

عنيه من الكرم والمروءة ومقالات الجبل

الخ . . .

